٢٩٧

HARLEQUIN

روايات احلام

# في البال أمنية

داي لوكلير

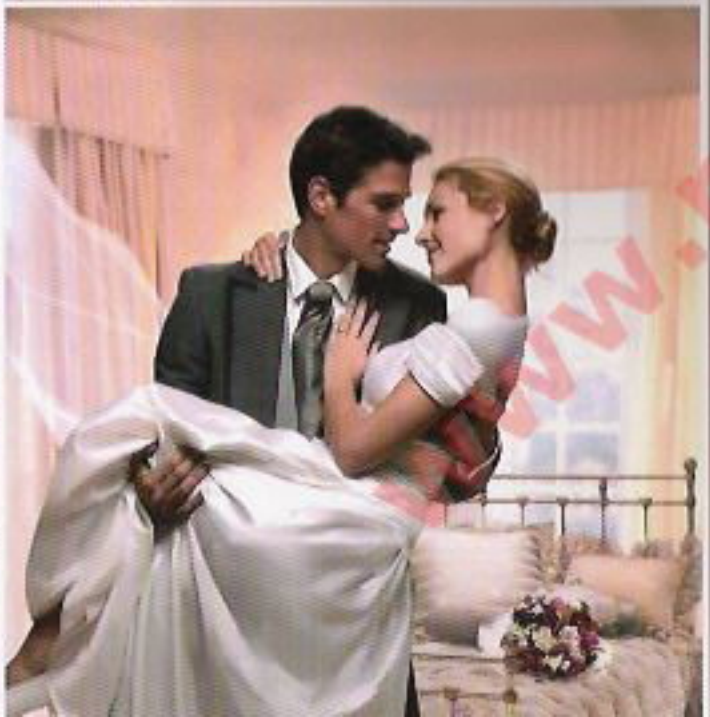

## في البال أمنية

– أنا لن أتزوجك يا غراي، هذا قرار نهائي.

فكّر غراي متأملاً ثم سأل: «نهائي للآن، أم نهائي للأشهر المقبلة؟»

أطبقت «أيما» أصابعها: «بل للأبد، أي أنني لن أتزوجك أبدًا!»

لكن غراي شاو بقي مصرًا أنه وأيما سيتزوجان، وفي خلال أسبوعين فقط...

الطريقة الوحيدة التي يمكنها بها إقناع غراي باستحالة هذا الزواج، هي أن تفرض عليه شرطًا تعجيزيًا. لكن ماذا سيحدث لو نجح؟

| | |
|---|---|
| لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل. | البحرين: ١ دينار |
| سوريا: ٧٥ ل.س. | السعودية: ١٠ ريال |
| الأردن: ١.٥ دينار | مصر: ٨ جنيه |
| الكويت: ٧٥٠ فلس | المغرب: ١٥ درهم |
| الإمارات: ١٠ دراهم | تونس: ٢ دينار |
| قطر: ١٠ ريال | عُمان: ١ ريال |

ISBN 9953-15-147-4

www.rewity.com

## داي لوكلير

تعيش داي لوكلير وعائلتها في قلب غابة على جزيرة صغيرة على شاطىء كارولينا الشمالي. تضربهم العواصف العاتية باكراً كل سنة فينقطع التيار الكهربائي غالباً، إلا أنهم يجدون في المناخ الرائع ومنظر البحر البديع ومتعة الصيد التي لا تضاهى تعويضاً سخياً عن عنف الطبيعة. تربي العائلة في منزلها هذا في «هاتيراس أيلاند» هراً يدعى فازي، وقد اكتشف فازي مؤخراً لذّة التمرّغ في أحضان أفراد العائلة. وعلم أن ابن داي كان يمزح حقاً حين أسمى فأر الهامستر كات فود (طعام القطط).

www.rewity.com

## تمهيد

سياتل، واشنطن.

ـ يمكنك أن تتحدث إلى اللجنة.

تقدم غرايسن شاو إلى بقعة من الضوء بدت متناقضة مع الظلمة السائدة في الغرفة. رفع يده يظلل عينيه من الوهج، وركز بصره على أحد الرجال الجالسين إلى طاولة المفاوضات: «أهذا أنت يا شادو؟».

فأجابه صوت في الظلام: «يُفترض ألا نستعمل أسماءنا. ألا تفهم؟ هذه لجنة سرية».

فهز «غراي» كتفيه: «ما دام شادو ليس اسمك الحقيقي، فستبقى محفوظ. والآن، لو دعوتك «توم سميث» بدلاً من استعمال اسمك الأوسط...».

ـ تباً لك، يا غراي!

ـ لكنت تسببت لنفسك بتوبيخ. ولكن بما أنها لجنة للتوسط بالزواج، وليست منظمة لإسقاط الحكومة، فلا أرى حاجة إلى السّرية. ما رأيك يا أديليد؟

صدرت آهة من الظلام، وما كان من والدة شادو ورئيسة لجنة

كيوبيد إلا أن أعلنت: «هذا صحيح».

فقال شادو متذمراً: «بما أنك جئت لطلب العون منا، فيجب أن تتبع قوانيننا».

ـ أفضل أن أسنَّ قوانيني بنفسي.

ـ هذا ما لاحظناه. ولكن كيف عرفت بأمرنا على كل حال؟

شبك غراي ذراعيه على صدره وهز رأسه: «ستكون وشاية إذا أخبرتك».

ـ إنه شايد، أليس كذلك؟ منذ توسطنا له ليتزوج تايس، فقد عقله.

كبح غراي ابتسامته مدافعاً عن الرجل. فقال: «إنه عاشق».

ـ إذا كان هذا ما يفعله الحب، فأنا لا أريد المساهمة فيه.

ووقف شادو وهو يتابع: «ربما علينا أن نحلّ اللجنة، قبل أن تلحق المزيد من الضرر بالذكاء الذكوري».

التوت شفتا غراي بابتسامة سخرية: «فات الأوان، مع الأسف».

فتمتم شادو يقول: «المسكين!».

ـ كفى يا توم.

توجّهت أديليد بصوت خافت إلى بقية أعضاء اللجنة وعندما وقفوا وخرجوا من باب في آخر الغرفة، ضغطت على زر النور فأضاءت قاعة الاجتماعات الفارغة إلا من طاولة وبعض الكراسي الجلدية وكومة من الملفات ثم قالت: «هذا أفضل، ألا تظن ذلك؟ قد يكون هذا التخفي مسلياً، ولكن ما دام غراي يعلم من نكون، فلم يعد لذلك فائدة».

ردّ شادو بحدة: «لكن بقي السؤال، من أخبرك عنا؟».

هز غراي رأسه: «كان عليك أن تعرفني بشكل أفضل. يمكنك أن تخمّن كما تريد، لكن المبدأ واحد... أنا أعلم بوجود اللجنة وأريد منكم العون».



ـ إنها «إيما بالمر» أليس كذلك؟ تريدنا أن نتوسط في زواجك منها.

لماذا يشعر وكأنه بحاجة إلى استنفاد كل مهارته في التفاوض ليحقق مراده؟ لقد ظن، وبكل حماقة، أنه ما أن يدخل ويعلن للجنة «كيوبيد» مطلبه، حتى يتم زواجه بين ليلة وضحاها. لكنه كان مخطئاً، وبدا له أن ذكاءه ينهار بشكل أسرع مما كان يتوقع.

إن ما يهمه هو أمر واحد، «إيما بالمر». ولو كان نزيهاً لاعترف لنفسه أنه بحاجة ماسة إليها. لقد جاءه ذلك الوحي في لحظة صفاء، ثم سرعان ما فقده. توتر فمه. لم يكن يهمه ما يتطلبه ذلك من تضحيات. سيفعل أي شيء لكي يستعيدها.

ضاقت عيناه وهو يحدق متأملاً في أديليد و شادو وأبعد إيما عن تفكيره، فإذا أراد أن ينجح، عليه أن يركز أفكاره على المشكلة التي بين يديه.

يجب أن يجد وسيلة للحصول على مساعدة اللجنة له قبل أن يخرج، فقال بإصرار: «أترفضون مساعدتي؟».

منحه هذا السؤال وقتاً لينظم أفكاره. ترددت «أديليد»: «نحن نود أن نقبل الطلب، لكنني لا أستطيع أن أعدك بشيء».

على الأقل، لم يكن ذلك رفضاً صريحاً. لذا رغب في أن يعلم سبب اعتراضها، فسألها: «هل تترددين لأنكم لا تظنوننا متلائمين، أم لأن هناك زواجاً آخر له الأسبقية؟».

هذه المرة أجاب شادو: «لا هذا ولا ذاك. أحياناً نرفض طلباً ما لأننا نشعر بأنه علينا ألا نتدخل».

وأومأت أديليد: «في أوقات معينة يجب أن ندع الأمور تأخذ مجراها».

تحيّر غراي بما يجيب رداً على هذه النقطة بالذات، فحاول أن يغير



www.rewity.com

وجهة الحديث: «ولكن مهارتكم نجحت مع تايس وشايد».

فأجابت أديليد بحدة: «لم يكن شايد يعرف هدفنا ولا تايس. وعادة تنجح الأمور أكثر بتلك الطريقة».

شعر غراي بانقباض وهو يجاهد ليجد جواباً. أين ذهبت مهارته في النقاش؟ فهو، عادة، يجد منفذاً في أي جدال، ولكنه لم ينجح هذه المرة. وعاد يقول بقنوط: «أي أنكم لن تساعدوني؟».

ـ ليس تماماً. دعني أسألك أولاً.

واقتربت منه تتحدث إليه بهدوء: «لِمَ تحتاج إلى عوننا؟ لِمَ لا تستطيع أن تجذبها إليك؟».

لامس هذا السؤال وتراً حساساً منه، لأنه كان دائماً كتوماً في أموره. ولطالما كان يفتخر بأنه ينظم أموره، العملية والشخصية، بنفسه وقد حزّ في نفسه الآن أن يطلب العون، وأن يطلب من الآخرين التدخل في شؤونه.

لا بأس، يمكنه مواجهة ذلك الشعور بالضيق. ولكن عجزه عن التحكم بمصيره وعن ايجاد طريق للخروج من هذا المأزق فاق احتماله. لو كانت المرأة غير إيما، لما فكر في اللجوء إلى هذا التصرف أبداً وصرّ بأسنانه... لكنها إيما، النجم المضيء في سماء حياته منذ مرحلة الشباب... ونسمة الربيع في تلك الحياة القاحلة كالشتاء. حين يتشوق للنظام، تخلق هي الفوضى. وبينما يحصر هو قراراته بخيارين، تكتشف هي أبعاداً لا متناهية. هو يتحاشى المشاعر التي تسبب له الاضطراب فيما تحتضنها هي وتحويها، وبدلاً من أن تتجنّب بلبلة المشاعر تراها تثيرها وتبحث عنها. إنه يشعر معها بأنه حي، وهذا ما لم يحدث له منذ سنوات.

ـ أريد مساعدتكم لأننا فقدنا، أنا وإيما، أي اتصال بيننا مؤخراً.

وكان في قوله هذا تبخيس بالغ لما حدث فعلاً.



ـ دعني أخمن... أنهم أن كلاً منكما ذهب في سبيله.

ما قالته أديليد عبّر عما كان يفكر فيه إلى حد جعله يبتسم: «هذه هي الخلاصة».

ـ يمكنك أن توافيها.

ـ لو كنت تعرفين إيما مثلي، لما اقترحت هذا.

ـ هل الأمر بهذا السوء؟

ـ بل أسوأ.

ـ ولماذا تريدها إذن؟

ـ لأنني أحبها.

نظرت أديليد إلى ابنها قبل أن تقول: «لا بأس يا غراي. سنرى ما بإمكاننا أن نفعل. ولكن أنبهك إلى وجود مشكلة بسيطة عليك أن تواجهها قبل أن ينتهي الأمر».

ـ وما هي؟

ـ أنك ستندم على طلبك وتتمنى لو أنك حصلت عليها بجهدك الخاص.

ـ لا سبيل إلى ذلك. لقد حاولت ولم أصل إلى نتيجة.

ومد يده إلى أديليد أولاً ثم إلى شادو: «شكراً لمساعدتكما. أطلبا مني ما تريدان».

ـ سنفعل ذلك حتماً.

تردد قليلاً ثم قال: «وهناك شيء آخر».

فرفعت أديليد حاجبيها: «ألا يكفي تزويجك لإيما؟».

فهز كتفيه: «إنه طلب صغير وفي حدود إمكاناتكم».

فسأله شادو: «ماذا تريد يا غراي؟».

ـ دعوني أعلم بتحركاتكم. أريد أن أعلم ما تفعلونه طوال الوقت.

لسوء الحظ، كان طلبه أمراً أكثر منه التماساً. فأجابت أديليد:



www.rewity.com

«آسفة. لا يمكننا أن نطلع زبائننا على مجرى الأمور، لأننا نخاف أن يؤثر ذلك سلباً على النتيجة. ألا توافقني على ذلك؟».

هز غراي رأسه. لا يمكنه أن يقبل ذلك: «اجعلوها استثنائية. أنا أعلم أنكم تطلعون أعضاء اللجنة على سير الأمور من خلال مراسلات منتظمة على «الإنترنت». أريد نسخاً من تلك المراسلات، وأعدكم بعدم التدخل في خططكم. لأنني أريد أن ينجح هذا العمل».

وتمتم شادو: «سأفعل شايد عندما تقع عيناي عليه. فمن المفروض ألا يعلم الزبائن بتفاصيل عملنا».

ـ ولكنني أعلم.

قال «غراي» ذلك مقطباً، رافضاً الاقتناع بمعسول الكلام. ذلك أن الخداع لم يكن من طباعه: «أرجوكم، إنه أمر هام».

مال شادو برأسه جانباً: «سأفكر في الأمر».

ـ شكراً.

لم يهدر غراي طاقته على الأحاديث الصغيرة فقد أنجز ما جاء لأجله، ولو أنه اختلف نوعاً ما مع شادو ووالدته. ولو كان ذكياً، لعاد إلى سان فرنسيسكو قبل أن يغيرا رأيهما. لذا، انحنى محيياً، ثم غادر الغرفة.

ما إن أوصد الباب خلفه حتى جلست «أديليد» على أقرب كرسي: «هذا ليس حسناً... على الإطلاق».

فسألها شادو: «أتظنينه سيأسف حقاً لمجيئه؟».

ـ دون شك.

ـ ولماذا؟

ـ لأنه سيتساءل على الدوام ما إذا تزوجته لأنها تحبه أم لأننا دفعناها إلى ذلك بالحيلة. إن عملنا لا يناسب رجلاً مثل غراي.



هز شادو كتفيه: «هو الذي جاء الينا ولسنا نحن».

ـ نعم ولكنه ليس الوحيد، أليس كذلك؟ فصديقة إيما الحميمة، تايس، جاءت إلينا بشأن تدبير زواج لصديقتها منذ شهور. ولو أن تزويج تايس لأخيك لم يكن له الأسبقية لكنا انتهينا الآن من هذه المسألة. كم لدينا من الطلبات؟ ثلاثة؟

ـ أصبحت الآن أربعة وكلها لنفس الموضوع: تطلب تزويج غراي لإيما. هل يمكن أن يكونوا جميعاً مخطئين؟

فقالت أديليد وهي تربت بأصابعها على الطاولة: «أخشى أن تدبير هذا الزواج هو أصعب مما توقعته».

فقال شادو غير مصدق: «لا أظنك تتوقعين الفشل؟ نحن لم نفشل قط».

ـ أنت تعلم جيداً أن هناك بداية لكل شيء، حتى للفشل.

ـ غير ممكن! حققنا ثلاثمئة وثلاثة وعشرين زواجاً ناجحاً حتى الآن، وهذا يجعلنا في المقدمة أليس كذلك؟

ـ وهذا لا يعني الكثير ما لم ينجح هذا الزواج.

ـ سوف ينجح. أضمن لك ذلك.

ـ لو استطعت فقط أن أفكر في طريقة...

وسكتت، ثم نظرت إلى ابنها بابتسامة عريضة.

فقال شادو متأوهاً: «أعرف معنى هذا التعبير يا سيدتي، إنه يعني المتاعب».

ـ لدي خطة، ولكن لكي تنجح، فأنا أريد أحسن رجالي.

فابتسم ساخراً: «هل أفترض أنك تعنيني؟».

ردت أديليد بحرارة: «نعم يا حبيبي، أنا أعنيك».

ـ يا لي من محظوظ، إذ عليّ أن أحضر لزواج يتمتع، حسب رأيك، بمقدار ضئيل من النجاح.



www.rewity.com

ـ لا يمكننا أن نحصل دوماً على نتائج سارة. في الواقع، هذه الخطة هي من الجنون بحيث أنها قد تنجح.

اقتربت منه وهمست تقول: «والآن، إسمع ما أريدك أن تفعله...».

* * *



## ١ ـ عناق بالإكراه

**الموضوع: «إيما بالمر». آخر تطورات وساطة الزواج.**
**إلى: لجنة كيوبيد.**
**من شادو (لجنة كيوبيد) إلى: السيد «غرايسن شاو».**

تذكير لكل الأعضاء: تقرير السبت سيتأخر يوماً واحداً ولا أريد أن اسمع أي شكوى بهذا الشأن. تريدون آخر المعلومات عن إيما، أليس كذلك؟ سأكتب اليكم جميعاً في أول فرصة.

ستذهب إيما إلى عرس تايس صباح السبت. وكانت تايس آخر زبونة لدينا، وهي على وشك الزواج من أخي الأصغر، العضو المنفذ شايد. أرجو أن تستلم هذه الرسالة يا شايد قبل ذهابك إلى العرس. فلدي بعض المعلومات الهامة عن زوجتك المستقبلية وأراهن على أنها لم تخبرك قط بهذه القصة. يبدو أنها، هي و«راين فيذرستون» (عروستنا التالية)، اعتادتا أن تقيما في قرية بالمر مع إيما أثناء العطل الجامعية. وأثناء إحدى تلك الزيارات، قالت إيما لتايس إنها لن تذهب للغوص لأن ثمة فتى يدعى بيلي شيراتون يتلصص دوماً على السابحات. لكن راين دفعت قطة إلى مهاجمته. وقبل أن تبدأ بالاتصال بي، لا أعرف كيف استطاعت راين أن تجعل القطة تطيعها. والناس في القرية يسمّون راين الموهوبة. لا تزعجني بالأسئلة لأنني لن أستطيع الإجابة أو اسأل غراي، فهو بارع في استنباط الأمور.



www.rewity.com

إليكم برنامج إيما كما يلي: «تجتاز بسيارتها مسافة ساعة إلى سان فرانسيسكو صباح السبت لتقوم برحلة سريعة إلى سياتل، ثم تحجز غرفة في فندق «تاج الملك» وهو فندق جميل. حالما تصل إيما ستذهب لقياس ثوبها. وقد أخبرتني تايس أنهن سيمضين وقتهن بعد ذلك في دور التجميل للاستسلام إلى تدليك أجسادهن وتجميل أيديهن وأقدامهن ووجوههن وشعورهن قبل موعد الزفاف في السابعة مساء. إذا لم يسبقني شايد أو أديلد بالتفاصيل، سأخبرك أنا بها حالما أجد وقتاً لذلك.

كانت الخطوة الأولى في خطة السيدة الرئيسة في موضعها. لا مجال فيها للخطأ. ولكنني لن أخبرك ما هي.

للمناسبة غرايسن شاو هو حتماً مدعو لحضور العرس. وتقول الإشاعة إنه سيرافق إيما، وهي وصيفة العروس، في الكنيسة. وهذا سيمنح الحاضرين فرصة لتقييم الوضع. (أحقاً يا غراي).

تلك الرسالة بعثها شادو، عضو لجنة كيوبيد من قرية بالمر، كاليفورنيا. (بينما كان يحاول البقاء متوارياً).

* * *

لم يكن هذا المأزق الأسوأ في حياتها، رغم أنه يتصدّر اللائحة. نظرت إيما بالمر مرتين إلى رقم الغرفة في يدها، وعندما اطمأنت إلى أنه هو نفسه، لم يبق لها سوى أن تطرق الباب، وهذا أمر بسيط. وعبست... فالأمر ليس بهذه البساطة، لأنها، في الحقيقة، لم تكن تريد أن تتحدث إلى الرجل الذي وراء الباب. يكفيها سوءاً أنها أضاعت عليها فرصة تجربة ثوب صديقتها الحميمة بسبب المشاكل التي طرأت على طائرتها، كما فوّتت كل المشاريع التي اتفقت مع صديقتيها على القيام بها في الساعات التي تفصلهن عن الزفاف. أضف إلى ذلك ضياع



أمتعتها وإعطاء الفندق غرفتها لشخص آخر.

مما يعني أنها لن تتمكن قط من الذهاب إلى الكنيسة وبالتالي، لن تصفح تايس عنها أبداً.

حسناً كلما أسرعت في طرق الباب، كلما أسرعت في متابعة طريقها. وكل ما عليها فعله هو رفع قبضتها وقرع الباب بشدة.

لا بأس، ربما عليها أن تفعل أكثر من ذلك، بعد أن تقرع باب غرفة غراي، كأن تلفق بعض الأكاذيب مثل: لم أفكر فيك منذ أشهر. وآه، كيف يمرّ الوقت بسرعة! ثم تتبع ذلك بحركات تمثيلية ونظرات تقول: أنت لم تعد تهمني ولم يعد بإمكانك قط أن تؤثر على عالمي.

وأخذت نفساً عميقاً. يمكنها أن تفعل ذلك بكل تأكيد؛ أن تكبح كل شعور نحو غراي لتبدو أمامه بمظهر بارد، سيكون ذلك أمراً مفاجئاً مع أنها لم تفعله من قبل. وعلى كل حال، إنها راشدة الآن ويمكنها أن تتصرف بهذا الشكل لمرة واحدة. ورفعت قبضتها لتقرع الباب، ثم عادت فأنزلتها.

لم تشأ أن تقرع، بل إنها لا تريد أن تقف هنا مطلقاً فكيف بالتعامل مع غراي وذكرى آخر اجتماع لهما؟

انفتح الباب المقابل لباب غراي وخرجت منه امرأة متوسطة العمر، وهتفت بدهشة: «إيما بالمر؟ كنت أرجو أن أتفيك لكنني لم أتوقع أن يكون ذلك في الفندق».

استدارت إيما ورسمت ابتسامة مشرقة على وجهها: «مرحباً يا برايانت لم أعلم أنك ستكونين أنت أيضاً في سياتل».

أصبحت المرأة معروفة لكل شخص في قرية بالمر بعد أن فقدت زوجها وهي في الخامسة والعشرين من العمر. وبعد ذلك بخمسين عاماً لم يتغير وضعها، ولا يبدو أنه سيتغير في المستقبل القريب. كل ما فيها



www.rewity.com

كان يشبه الطائر، من رفرفة يديها كجناحي عصفور، إلى خصلات شعرها الأبيض التي تتطاير حول وجهها المستدير وهي تقول: «دعني تايس إلى عرسها، ألم تقل لك ذلك؟».

وتذكرت إيما: «هذا صحيح. فقد ابتدأتما بالمراسلة بعد زياراتها الصيفية».

ـ لدينا ميول مشتركة كالاهتمام بالتبرعات. ولولا تايس، لما استطعت أن أنهض بمشروعي لمحو الأمية.

ـ هذه هي شخصيتها.

مالت برايانت نحوها هامسة: «لم أكن أنوي حضور عرسها».

ونظرت من فوق كتفها بخوف فكبحت إيما ابتسامة عريضة. أتراها خائفة من أن تسمعها تايس؟

وتابعت المرأة قائلة: «أنت تعلمين كم أكره أن أترك بوسي».

منذ مات زوجها «إدغار برايانت» لم تفترق الأرملة قط عن قططها التي كانت تطلق على كل واحد منها اسم بوسي. وكانت قطتها الأخيرة فتية حين أثارت إحدى أكبر فضائح القرية، فقد هربت من صاحبتها في ذلك النهار... وكان توقيتها مصادفة لصالح الفتيات. استمتعت بوسي بالعبث، كما ربحت تايس الرهان الذي اقترحته إيما وأثبتت راين موهبتها مع الحيوانات، فقد تلقى بيلي ستراتون ما يستحقه وهو أثر أربعة مخالب على مؤخرته.

انفجر الجميع بالضحك يومها باستثناء بيلي، ولكنه شفي على الأقل من عادة التلصص على البنات.

سألتها إيما: «أظنك قررت أن تتركي بوسي، رغم كل شيء، لتحضري زفاف تايس؟».

ـ في الحقيقة، لقد رأيت مجسماً للفندق في تلك المقالة الجميلة التي كتبت عنه الاسبوع الماضي في الجريدة. ما شجعني على



الحضور. وحالما قرأتها، ناديت «إلي» وسألتها إن كان بإمكانها أن تستضيف بوسي. تعرفين أن «إلي» لديها والدة بوسي.

ـ صحيح. لقد نسيت ذلك.

فقالت المرأة بعطف: «لا بأس. فأنت لم تتعلقي يوماً بالحيوانات مثل راين، يا حبيبتي. ولكننا نحبك على أي حال».

خطر لإيما فكرة فعبست: «يدهشني أنك استطعت أن تجدي غرفة فالمكان محجوز منذ شهور».

ـ كنت محظوظة للغاية، حصلت على الغرفة الأخيرة في الفندق. قالوا إن حجزها ألغي في آخر لحظة.

ثم أطرقت رأسها جانباً: «أو أن صاحب الحجز لم يحضر؟».

صرت إيما أسنانها لأنها أدركت الحقيقة. إذ لم يكن حجزها مؤكداً فلقد نسيت أن تؤكده تحسباً لتأخر وصولها. لو أن الرحلة لم تتأخر عن موعدها، ولو أن الأمتعة لم تضع، ولو أنها لم تعان من زحمة السير للوصول إلى الفندق لمدة ثلاث ساعات، لوصلت في الوقت المناسب.

قالت المرأة بابتسامة عريضة: «دوماً كان عزيزي «إدغار» يقول إن حظي جهنمي».

أومأت إيما بكآبة: «نعم، وأنا أيضاً. ولكن، في حالتي هذه، لا أظنه فألاً حسناً».

ـ إذن فهذه غرفتك؟ ما أجمل أن نكون جارتين.

فأجفلت إيما وقالت مكرهة: «آه، إنها في الواقع غرفة غراي. طلب مني جدي أن أمرّ به وأترك له رسالة شفهية قبل العرس».

فقالت المرأة بابتسامة ذات مغزى: «أحقاً؟ أظن هذا العذر جيداً».

عظيم... عظيم جداً. لا شك أن الخبر سينتشر في كل أنحاء «قرية بالمر» بأنها كانت واقفة أمام غرفة غراي قبل عرس تايس. وقد



www.rewity.com

ينقلها الخبر من خارج الغرفة إلى داخلها. الأقاويل تنتشر بشكل سريع في قرية بالمر، ولكنها مجرد مبالغة في رواية الأحداث.

وقالت إيما للمرأة في محاولة لإصلاح وضعها: «الأمر ليس كما تظنين».

- ولن يكون كذلك أبداً، يا عزيزتي، إلى أن تجدي نفسك متزوجة ولديك دزينة من الأولاد متعلقين بأذيالك. لماذا تقاومين ما لا مناص منه؟

ردت إيما عابسة: «يمكنني أن أقاوم غراي. لا مشكلة في ذلك».

- استمري في خداع نفسك إذا كان الأمر يريحك، إنما خذي نصيحة واحدة قبل أن تذهبي؛ لم يتبق أكثر من ساعة على عرس تايس، فلا تشغلي نفسك بالجدل وإلا تأخرت. عند ذلك لن أكون الوحيدة التي ستستنتج أشياء وأشياء.

- أرجوك لا تستنتجي شيئاً، ولا تحملي أي شخص آخر على ذلك فقي هذه الحالة، الأمر مختلف.

أنضت الأرملة صوتها وقالت بهمس: «في ردهة الفندق متجر مليء بالألبسة فقط على سبيل الإحتياط. رغم أنني واثقة من أن غراي خطط لكل الاحتمالات والطوارىء. فهذا شأن العاملين بالمحاسبة».

شعرت إيما بوجهها يتوهج: «ما زلت لا تفهمين الأمر...».

- ليس لديّ وقت لتفسري لي الأمر، فعلي أن أسرع بالذهاب.

وتابعت الأرملة فيما هي تتأكد من أنها أحكمت إغلاق باب غرفتها: «أستغرب أن تعودا إلى بعضكما مرة أخرى، فقد ظننتكما انفصلتما للأبد».

ردت إيما بضعف: «مرة أخرى؟».

- أدركت في المرة الأخيرة أنك أردت أن يبقى ما بينكما سراً.



ولكن الأمر لم ينجح. فأنت تعلمين كيف تنتشر الأخبار في بلدة صغيرة كبلدتنا.

تنهدت إيما: «نعم، أعلم. ولكن فقط الأخبار التي أريدها أن تنتشر».

والتفتت لتحدق في باب غرفة غراي وهي تتابع: «أو هذا ما ظننته».

- لا يمكنك أن تتوقعي من الناس التكتم على أول علاقة غرامية لك. لقد كنا في غاية الفضول لفترة، وعلمنا بعد ذلك أن لا شيء سينتج عن علاقتكما. حتى أن البعض منا أخذ يراهن على النهاية.

- يراهنون؟

- لقد جمعت مبلغاً جيداً من ذلك. أرجو ألا يزعجك أنني راهنت ضدك.

- إنتظري لحظة. كان الجميع يعرف أننا، أنا وغراي، كنا...

واختنقت عند هذه الكلمة، وعادت تقول: «أعني يظن أننا كنا...؟».

فسارعت الأرملة لتقول: «ما عدا جدك، إذا كان هذا ما يقلقك. على حد علمي إن جدك لم يعلم بعلاقتكما، لأن الكل يفتقر إلى الجرأة الكافية ليخبره. كلنا يعلم أنه كان سيشنق غراي لو عرف بذلك. لا أحد يريد أن يكدر جدك نظراً لمشاكله الصحية».

فقالت إيما في محاولة أخيرة: «أنت لا تفهميني. ليس هناك ما يقال. لم يكن بيننا شيء».

- طبعاً لم يحدث، يا حبيبتي. أنت أيضاً أصّري على هذه القصة. لا تعرفين ما قد يحدث فقد يصدقك أحدهم. والآن، تذكري نصيحتي، إجعلي زيارتك مقتضبة وإلا سيعلم الكل أن العلاقة بينكما قد عادت فأخسر الرهان. إلى اللقاء في العرس.



www.rewity.com

ولوّحت المرأة بيدها مودعة وهي تسرع في الممر تاركة إيما مذهولة. حسناً، لقد وقع الضرر، ولن تتوقف الأوقايل. وعليها أن تتكل الآن على غراي للجم ألسنة الناس أثناء الزفاف. لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً لأن كراهيتهما المتبادلة ستحقق الهدف. ورفعت قبضتها لتقرع بابه. كان قرعها أعنف مما كان مألوفاً ولكن اللوم يقع على حالة القنوط التي أصابتها... والتي يسعدها أن تلصقها بغراي.

أوشكت أن تقرع الباب مرة أخرى فإذا به ينفتح: «عرفت هذا الطرق بالذات حتى بعد كل هذه السنوات».

كان عليها إما أن تلقي بنفسها بين ذراعيه، وإما أن تفرغ سخطها عليه. وكان الخيار صعباً. لكنها اختارت السخط لإنقاذ كرامتها، فسيمنعها الغضب من أن تقوم بعمل أحمق...

بادرته قائلة: «إنه ذنبك».

ـ أهلاً بك أنت أيضاً. تفضلي بالدخول وارتاحي فيما تصبحين بوجهي.

ـ رغم الإغراء الذي يدفعني إلى القيام بذلك، فأنا لا أجرؤ. إذا بقيت أكثر من خمس دقائق، فإن كل شخص في قرية بالمر سيظننا... سيظننا..

واحمر وجهها.

فقال وهو يصفق الباب خلفها: «ماذا؟».

ـ الوضع يثير الاشمئزاز.

وسارت في الغرفة مصممة على الابتعاد عنه قدر إمكانها. وبهذه الطريقة لن يتملكها الإغراء للارتماء بين ذراعيه. أكملت كلامها قائلة: «ولكن ما كنت أعنيه».

ـ هلاّ أخبرتني... سيظننا نفعل ماذا؟

فقاطعته بسرعة: «نطلق لنفسينا العنان!».



ـ هل يجدر بي أن أنكهن؟

ـ لو أنك لم ترتب الأمر لتأخذ الغرفة المقابلة لغرفة «برايانت الأرملة»، لما اشتبه أحد بالأمر.

سمعته يقترب منها، وشعرت بوجوده على بعد خطوات فقط فارتجفت. كان قريباً منها وهو يتابع: «من باب الفضول فقط... لماذا رتبت ذلك؟ لا أتذكر!».

استدارت إيما تواجهه، وإذا بكل تبرير مقنع يتبدد من رأسها. فليساعدها الله! كان غراي واقفاً أمامها ببذلته السوداء التي تبرز كتفيه العريضتين. إنها تتذكر هاتين الكتفين. وكيف لا تتذكرهما؟ وقد بكت عليهما، وتعلقت بهما.

كانت تظن نفسها مغرمة به وحسبت أن ما يجمعهما مشاعر أعمق. كم كانت معتوهة! فبالرغم من أنهما ينتميان إلى البلدة نفسها إلاّ أنهما لم يكونا متشابهين في شيء. فغراي يعيش في عالم لا يعرف إلا الأبيض والأسود، الدائن والمدين، الزائد والناقص. إنه يرفض أن يرى أي شيء بين النقيضين، بالرغم من أن اسمه يعني الرمادي. وبينما رتب غراي حياته على شكل مربعات لعبة الداما، كانت إيما تتوق إلى أمر مختلف تماماً.

عادت نظراتها إلى كتفيه، كانت تفضّل شيئاً مختلفاً عما يمكن لغراي أن يقدمه. هذا على الأقل ما كانت تظنه، إلى أن دخلت غرفته في الفندق. فهل تؤدي نكسة صغيرة إلى كارثة كبرى؟ يمكنها أن تضع اللوم على هذا النهار الشاق العصيب، أو على فورة المشاعر بسبب زواج إحدى صديقاتها الحميمات أو بإمكانها أن تعترف بأنها متعطشة إلى كتفيه العريضتين وعينيه الزرقاوين الرائعتين اللتين تحيلانها إلى أنثى واهية، وتثيران فيها مشاعر قوية.

وبللت شفتيها: «غراي...».



www.rewity.com

لقد فضحت نفسها بتلك الكلمة الوحيدة الحزينة. إلا أن ردّ غراي كان عنيفاً، فقد أظلمت عيناه بمزيج من الحنين والعزيمة: «إذا لم تتوقفي عن النظر إلي بهذه الطريقة فسيفوتنا حضور عرس تايس».

لم يبدُ لها ذلك سيئاً، لكن هذا لا يعني أنها ستدع غراي يتكهن بشعورها: «أعرف ذلك، فالأرملة برايانت قالت إن العرس سيفوتنا ما لم نكن حاضرين».

دس يده في شعره المسرح بأناقة وسرّت إيما لأنها قادرة على أن تثير فيه هذا التجاوب. وقال: «ربما علينا يوماً ما أن نناقش المسألة. بإمكاننا أن نخوض هذا النقاش بشكل منطقي».

ـ آه، المنطق، إنه اختصاصك صحيح؟

وأخذت إيما نفساً عميقاً محاولة تنظيم أفكارها بشكل عقلاني. لم يسبق لها أن نجحت في الالتزام بالمنطق: «برايانت الأرملة تنزل في غرفتي المقابلة لغرفتك».

نظر غراي إليها بتبلد: «غرفتك في الفندق؟».

ـ كانت غرفتي، لكنني وصلت متأخرة، فأعطوها الغرفة.

شبك ذراعيه على صدره: «وما ذنبي أنا؟».

فقالت عابسة: «إن وجود غرفتك قبالتها هو ذنبك».

ـ كم هذا مفرح!

ـ دع التهكم، يا غراي. لدينا مشكلة. فكلُّ شخص في قرية بالمر يعتقد أننا على علاقة.

ـ ولكننا كنا فعلاً على علاقة.

يا له من رجل صعب. لطالما كان صعب المراس ولا شك في أنه سيبقى كذلك حتى تضع امرأة ما حداً لحياته.

فقالت بشيء من الضعف: «ألا تفهم؟ سيظنون أن العلاقة ما زالت قائمة بيننا، لقد رأتني برايانت الأرملة أدخل إلى هنا والبلدة كلها تراهن



على علاقتنا».

ـ ذكريني بأن أشترك في ذلك باعتبار أنني أعلم كيف ستنتهي هذه العلاقة.

ـ هل لك أن تكون جاداً؟

كانت لتضحك عالياً في ظروف أخرى لكنها لن تستطيع ذلك بعد الآن، فمأساة انفصالهما تؤلمها... إنما مشاركتها له المكان نفسه، وبقاءها قريبة منه وهي عالمة بأن ما كان بينهما لن يعود أبداً... تجاهلت هذا الفيض من المشاعر المؤلمة، وأرغمت نفسها على التمسك بالموضوع الذي بين يديها: «دعني أوضح لك... لقد رأوني أمام بابك».

ـ وماذا بعد؟

ـ فافترضت برايانت الأرملة أنني جئت لأزورك.

ـ ولكنك تزورينني فعلاً.

ـ أنت تعرف ما أعني! إنها تظننا...

وتأوهت إيما وغطت وجهها بيديها شاعرة بالحقارة: «ظنت أنني جئت إلى هنا باسم الحب».

رد بخشونة: «وماذا لو ظنت ذلك؟».

رفعت رأسها قائلة: «سيسمع الناس وسيعرف جدي».

تجاهل ذلك وقال بحزم: «دعيه يعرف. يا إيما، أنت في الثلاثين من عمرك، ما الذي سيحدث لو علم جدك؟».

فتملكها الغضب: «تباً لك ألا تفهم؟ سيتوقع منا أن نتزوج».

هز كتفيه دون أن يتأثر بغيظها، ورد قائلاً: «وسنرفض. هل هذا صعب؟».

ـ أنت تعرف جدي، وأنا أفضل ألاّ أعطيه أيّ عذر لإثارة موضوع منته.



www.liewity.com

- سيكون الأمر صعباً مع سكان البلدة الذين يراهنون على علاقتنا.
- ليس بيننا علاقة!
- كانت.
- وانتهت. كما أننا لن نستأنفها.
- يؤسفني ذلك جداً.

أعقب كلامه قولها بسرعة فأدركت أنه لم يفكر قبل أن يتكلم، وإلا لما أقرّ بذلك. حارت جواباً إزاء هذه الصراحة، فأي جواب مرتجل قد يجرحه ويعود بهما إلى مكان لا تجرؤ هي على العودة اليه. اشتبكت نظراتهما للحظة.

لقد عرفا بعضهما طوال حياتهما تقريباً ولو كانت صادقة لاعترفت بأنهما يعرفان بعضهما أكثر من أي شخصين آخرين. عاشا معاً مناسبات هامة مثل أعياد مولدهما، التخرج من الجامعة، الذكريات السنوية، الإكتشافات... لم يكن في حياة إيما حدث هام لم يلعب غراي فيه دوراً حيوياً، كما أنها كانت المساهمة الرئيسية في كل أفكاره البناءة. فالذكريات التي لا تحصى تقف بينهما، مالئة الجوّ بصدى ضحكاتهما والعواطف المشبوبة التي تبادلاها.

- ليس لدينا وقت، يا إيما. سيبدأ العرس بعد ساعة بالضبط.

نجح صوته في تشتيت أفكارها وإعادتها إلى الواقع.

هذه هي طبيعته! ما أن تدخل العاطفة علاقتهما حتى يضع لها حداً سريعاً. ومع ذلك... قطبت جبينها. لم يبد عليه هذه المرة أنه يتجنب مواجهة عاطفية، بل بدا مرهقاً. فهو يجهد نفسه مؤخراً من العمل، ولطالما كان رغم لومها الدائم له. حسناً لم يعد الأمر يهمها الآن، ولن تفكر فيه. وعضت على شفتها... على الأقل ستحاول.

وأخيراً قالت: «أدرك تماماً أن الزفاف سيبدأ بعد ساعة».

- وما الذي تفعلينه هنا إذن، يا أيما؟



فتحت حقيبة يدها وبحثت بين محتوياتها ثم أخرجت مغلفاً وهي تتنفس الصعداء. قدمته إلى غراي قائلة: «هذا لك من جدي. قال إنه مستعجل وإن عليّ أن أسلّمه لك على انفراد».

أخذ غراي المغلف وفتحه. وخلال دقيقة قرأ ما فيه (أنا أرسلتها إليك فافعل ما تريد بشأنها).

هذا عظيم! الجد يقدم له حفيدته، قبل ساعة تقريباً من العرس. لا بد أن تكون الرسالة من تدبير لجنة كيوبيد. ولا شك في أنها الخطوة الأولى التي أشار إليها شادو. لكن لسوء الحظ، هذا التوقيت لا يمنح غراي وقتاً لإنجاز أي شيء.

سألته إيما: «وماذا يقول جدي؟».

- إنه بشأن العمل.

ضاقت عيناها ارتياباً: «عمل؟ اعتدت العمل مع جدي. فإذا كان الأمر مستعجلاً إلى هذا الحد، يدهشني ألا يخبرني به».

ففكر للحظة: «وهو أيضاً سرّي».

- سرّي؟ هذا عجيب.
- لمَ هذا الفضول، يا إيما؟

فترددت: «إنه جدي».

وسكتت مجتنبة نظراته: «لأنه كان متوعكاً مؤخراً وأنا قلقة عليه. أردت فقط أن أتأكد من أن رسالته لا تذكر شيئاً عن صحته».

تأملها غراي برهة طويلة. كانت تخفي عنه شيئاً... وشيئاً هاماً. حان الوقت ليعرفه: «لا شيء في الرسالة يتعلق بجدك أو بصحته. ولكن سأخبرك بما قاله بعد الزفاف إذا كان الأمر يربح بالك».

فأومأت: «شكراً. إنه يرضيني تماماً».

- أخبريني الآن عن صحته.
- الأمر ليس بتلك الخطورة.



www.rewity.com

كانت أكذوبتها واضحة كالعادة، فهي لا تحسن الكذب أبداً ولطالما اعتبر غراي ذلك من مزاياها المحببة.

وتابعت: «وسيستعيد قواه قريباً جداً».

تقدم منها غراي ووضع يديه على كتفيها. لم تنزعهما عنها، لكن روح المقاومة لمعت في عينيها. كانت عيناها غريبتين، إذ يتدرج لونهما من البني إلى الذهبي ما يمنحها مظهر القطة المشاكسة.

دخلت حياته منذ الطفولة وغيرتها نهائياً، وجعلته مجنوناً بها. ما كان له أن يدعها تؤثر عليه بهذا الشكل، فهذه ليست طبيعته. كان عالمه بسيطاً مليئاً بخيارات بسيطة، فهو لم يشأ أن يطارد الأحلام الطائشة. ومع ذلك، كان يشعر بأن هذا ما يريده حقاً كلما كان بالقرب من إيما. كانت تحرك فيه شعوراً بدائياً خطراً، وتخرق دفاعاته بابتسامة واحدة. معها تصبح الحياة أكثر إشراقاً... كان يريد تلك الحياة الدافئة التي يعلم أنه يمضيها معها. بل إنه كان متلهفاً إليها.

أمسك معصمها الناعم بيد ورفع وجهها بيده الأخرى، فارتجفت رغم أن الثورة التي بانت في عينيها حجبت أي بوادر ضعف.

كانت تبدو كأشعة الشمس التي يصعب احتواؤها أو كرذاذ الثلج... كرر سؤاله: «ما الذي يعاني منه جدك؟».

ـ ليس لدينا وقت للحديث عنه الآن. يجب أن نذهب إلى الكنيسة. ليس لديك فكرة عما عانيته اليوم. لقد ضاعت أمتعتي في المطار، والفندق قدم غرفتي لنزيلة أخرى. وإذا لم يكن الثوب مع تايس فسيكون علي...

ـ ما الذي يعاني منه جدك؟

طرح سؤاله بصوت خافت، لأن حديثه الرقيق معها يمنحه تأثيراً أكبر عليها. فقالت بوضوح: «يرفض أن يخبرني. كل ما عرفته أنه شعر



بوعكة صحية فذهب إلى الطبيب».

ـ الدكتور «كروسبي»؟

ـ نعم، وهو لم يخبرني شيئاً. إنهم لا يفهمون أن أسرار المريض لا يجب إخفاؤها عن أهله.

ـ سأبحث في الأمر.

ـ أنا لا أطلب منك أن تتحرى عن الأمر. يمكنني أن أتدبّر شؤوني بنفسي.

ـ سأستقصي عن الموضوع.

أبعدت يده بغضب قائلة: «لا. عليك أن تبقى بعيداً عن شؤوني الخاصة هذه المرة، لأنه لم يعد بيننا من صلة. فنحن لسنا صديقين، ولا شريكين، ولا تربطنا أيّ علاقة عاطفية رغم كل ما يتناقله أهل البلدة».

ـ لكننا نريد ذلك.

ـ هذا صحيح.

واتسعت عيناها بذعر بالغ: «أعني لا!».

ـ فات الأوان.

وأحاط وجهها بيديه: «ألا تعلمين بأنه لا يمكنك أن تكذبي عليّ؟ لم تستطيعي ذلك من قبل، ولن تستطيعي الآن».

اتمّ كلامه و... عانقها.

* * *



www.rewity.com

## ٢ ـ أغرب طلب!

الموضوع: تحذير!
إلى: توماس بالمر.
من: شادو لجنة كيوبيد.
نسخة إلى: السيد غرايسن شاو.

تذكير رسمي لمن يحاول منكم أن يتدخل في أي زواج تدرسه حالياً لجنة كيوبيد في محاولة للتأثير على سير الأحداث ستنظر إليه اللجنة بمثابة تراجع عن طلبكم.

بالنسبة إلى إيما بالمر، الأمور تسير قدماً، لكننا وصلنا إلى نقطة حرجة. هناك أوامر صارمة تقضي بألاّ يتدخل أحد في الأحداث التي بدأت تتحرك، إذ لا يمكننا أن نتحمل مسؤولية أي فشل كما أننا لا نضمن الوصول إلى نتيجة إيجابية.

تمنع المراهنات على النتائج منعاً باتاً. أمّا احتمالات الفوز فهي ثلاثة مقابل واحد. وقد طلب رئيس البلدية المايور هورنسبي أن أذكّركم بأن المراهنات لا تُقبل إلا نقداً.

الرجاء توجيه هذه التعليمات إلى كل من يهمه الأمر. شادو،



العضو المنفّذ.

أمي... أرسل هذه النسخة على الإنترنت إلى تي بالمر. من المهم جداً أن تتحدثي إلى تي وإلا فشلت خطتك. سأعالج الوضع من ناحيتي. أنت على صواب، فهذه مهمة صعبة.

* * *

استجابت إيما لغراي بصورة تلقائية.

افلتت منها آهة رقيقة. ولم يكن هو يدرك مدى شوقه إليها حتى اللحظة. استكان رأسها على كتفه بينما أحاطها بذراعيه. لم تقاومه كما كان يخشى. لطالما كانا متلائمين ولم يتغير ذلك منذ انفصالهما. وزادت صلتهما من حدة مشاعرهما، فتحولت اللهفة إلى متعة حلوة مرة في آن. لم يشبع من عناقها فهي تفقده عقله ولكنه لا يهتم بذلك ما دامت بين ذراعيه.

وأخيراً قالت إيما: «إنها غلطة. عليّ أن أوقفك عند حدّك».

كانت ابتسامتها أشبه بالربيع المشرق، إذ تثير فيه مشاعر بدائية يعجز عن مقاومتها أو كبحها. تأوهت مجدداً: «كم اشتقت إليك».

كانت أفكارها صدى لأفكاره. ولم يكن يعلم ما إذا كان السبب نشأتهما معاً، أم أن الوقت القصير الذي أمضياه معاً جعلهما أكثر تماثلاً. لكنه يعرف الآن ما تريد، ويستطيع أن يتوقع شعورها قبل أن تدركه هي: «مضت مدة طويلة منذ كنا معاً».

ردّ موافقاً: «نعم، طويلة للغاية».

دفعتها لهفته إلى استعادة كل تلك المشاعر الجارفة التي جمعتهما وأغرقتهما في بحر متلاطم من دون قرار.

وفيما هو يتحرك نحوها ليضمها إليه أكثر، لمح الساعة فأجفل.

فلم يبق لديهما سوى خمس وعشرين دقيقة. وإذا لم



www.rewity.com

يتحركا فسيفوتهما العرس وستجد إيما سبباً آخر لتغتاظ منه. فإن فاتها عرس صديقتها، لن تغتاظ وحسب بل ستشعر بغضب عارم ولن تسامحه.

وشتم بصوت منخفض. لم يكن يريدها أن تغضب، ولم يشأ أن تتأزم الأمور بينهما أكثر، لذا عليه أن يسيطر على مشاعره. واستلزم ذلك أن يستجمع كل ما أوتي من إرادة، فتراجع وأخذ يحدق في وجهها المذهول.

ابتسم لها وهو يدس خصلة من شعرها البني الذهبي خلف أذنها: «أما زلت تدعين أنك غير مهتمة بي؟».

فقاطعته بسرعة وهي تفتح عينيها على اتساعهما: «لا بأس».

فهز كتفيه: «سنحصل على مزيد من الوقت بعد العرس».

فما كان منها إلاّ أن هزت رأسها قائلة: «لا سبيل إلى ذلك. لقد جربنا فلم ينجح الأمر بيننا».

ـ بل نجح تماماً.

ـ ربما نجح الأمر مؤقتاً.

بدت مرغمة على هذا التنازل وهي تتابع قائلة: «شخصيتانا مختلفتان تماماً ونظرتنا إلى الحياة كذلك».

ـ هذا كلام أهل البلدة.

ـ لا. إنه استنتاجي بعد ستة أشهر من العلاقة.

وابتعدت عنه. فمع كل خطوة تفصل بينهما كانت مقاومتها تزداد: «ليس لأجل ما فعلته مع جدي تي ومع أهل بلدتنا بل لأن الموضوع الأساسي ما زال يقف بيننا».

ـ لم أفعل شيئاً لجدك تي ولا لأهل البلدة.

لكنها لم تستمع إليه. وقالت: «نحن، بالنسبة إليك، إما انتهازيون وإما عقبات».



كشّر عابساً في وجهها: «هذا حديث قديم ولا وقت لدينا الآن للعودة اليه».

ـ ولن يكون لدينا وقت ما لم توافقني القول. إنه أمر غير معروض للمناقشة.

ـ هذا يناسبني.

ما كان له أن يكون لاذعاً بهذا الشكل. رفعت رأسها وضاقت عيناها الشبيهتان بعيني القطة باستياء واضح: «حسناً، إنه يناسبني كذلك ولا داعي لأن تربّت على كتفي كعادتك عندما كنت طفلة».

ـ أنا لا أربّت...

ـ بل أنت تفعل يا غراي.

وشبكت ذراعيها حول صدرها... لماذا لم يلحظ من قبل أنها ترتدي اللون الأحمر؟ كان يكره أن ترتدي اللون الأحمر، لأنه يجعلها متمردة. لقد حان الآن وقت التراجع: «إيما، علينا أن نذهب إلى الكنيسة».

ـ دقيقة بعد. هل تتذكر عيد ميلادي السادس عشر؟

فقال: «وكيف أنسى؟ كدت أقتل ذلك الفتى. ما اسمه؟».

ـ إدي، إدي ماكوير.

ـ كان علي أن أقطعه إرباً حينذاك.

ـ هل تتذكر لماذا؟

ـ نعم. فقد وضع يديه عليك.

كان المشهد قد حفر في نفسه طوال الحياة.

ـ لقد عانقني. أما ما لم تكن تعرفه ولن تعرفه أبداً فهو أنني شجعته.

استيعاب كلامها تطلّب منه دقيقة: «أنت خططت لتلك المهزلة...؟».



www.rewity.com

ـ لو أنك لم تربّت على كتفي وتقول إنك تعلم ما يصلح لي، لكنت أدركت ذلك منذ زمن طويل.

تملكه الغضب وعاد يقول: «أنت خططت لتلك المهزلة..؟».

ـ نعم، كانت خطتي أن يمنحني إدي ماكوير عناقي الأول.

ـ وهل خططت أيضاً لأن تثيريه؟

فقالت متنازلة: «ربما خرج الوضع قليلاً عن السيطرة».

ولم يعد الآن يسيطر على غضبه فصرخ بها: «قليلاً؟ لو أنني لم أنقذك، لتحول مسار الأحداث ذلك المساء».

ـ لو أنك لم تظهر في تلك اللحظة لكنت تدبرت أمر إدي، ولما استطاع أن يقوم بشيء آخر بعد ذلك.

ـ جميل. أنت وإدي. كان طولك خمسة أقدام، والسيد نجم كرة قدم وبنيته أشبه بدبابة. أنا واثق من أن ركبتك النحيلة كانت ستتضرّر حتماً.

أزاح غراي ربطة عنقه التي شعر بأنها تخنقه: «هلاّ أوضحت لي سبب هذا النقاش؟».

ـ لأنك تظن دوماً أنك أخبر مني.

قال بتحفظ حيّرها: «أعرف إدي ماكوير جيداً».

ـ نعم، هذا صحيح. ولكن بدلاً من أن تتركني معه، استلمت الدفة مني. وبدلاً من أن تصغي إلى تفسيري، تجاهلت رأيي، وأصريت على أفكارك.

فنظر إليها بحيرة: «ولكنني كنت على صواب».

ـ بالنسبة إليك فقط.

أتراها تمزح؟ لا بد أنها كذلك: «لا أظن أنّ ما حدث يوم ميلادك السادس عشر هو المثل الأصلح لتبرهني أن أفكارك صائبة».

ـ لا، طبعاً أنت لن تظن ذلك.



وتقدمت إليه محاولة إصلاح ربطة عنقه، فتنشق شذاها وتذكر ذلك العطر الذي كانت تضعه كلما كانا معاً، لأنها تعلم أنه يحبه. شد يديه إلى جانبيه لئلا يعاود احتضانها. هل تعلم مبلغ تأثيرها عليه؟ غير ممكن، وإلا لما تجرأت على الاقتراب منه بهذا الشكل.

سألها بخشونة: «هل انتهيت؟».

ـ تقريباً.

ـ عليك أن تسرعي.

قال لها هذا قبل أن تسوّل له نفسه بأن يفعل شيئاً تندم هي عليه.

قالت بلهجة طبيعية: «منذ شهرين وأنا أفكر في ما بيننا من فروق. أدركت أنني لن أكون زوجة مناسبة لك أبداً. كنت دوماً عائقاً أمامك بدلاً من أن أقدم إليك الفرص المناسبة. وحالما تدرك ذلك سينتهي زواجنا».

لا سبيل إلى ذلك.

ربتت على ربطة عنقه وقالت بلطف: «لا بأس، يا غراي ما فعلته بجدي تي وبقية سكان البلدة كان حقيراً، لكنني لم أعد مستاءة من ذلك».

ـ أنا مسرور لسماع ذلك.

سارت إلى الباب وفتحته ثم قالت: «من الأفضل أن ننفصل. وأنا واثقة من أنك سبق وفكرت في ذلك».

ـ سأخبرك بما فكرت فيه.

ـ أرجو أن تسرع وإلا تأخرنا. أنت لم تتخلّف قط عن موعد، أليس كذلك؟

ـ هناك بداية لكل شيء.

وسار إلى الباب بعيد اغلاقه. لم يعبأ بمناقشها أو مجادلتها ولا بالاستماع إلى إيضاحاتها أكثر من ذلك، كان التصرف بالنسبة إليه



www.rewity.com

أفضل من الحديث. أمسك بشعرها وأمال رأسها إلى الخلف لتواجهه، وعانقها. أرادها أن تتذكر كل لحظة أمضتها بين ذراعيه، لتدعي بعدها أنهما لم يخلقا لبعضهما البعض. ولن يستغرق إثباته ذلك وقتاً طويلاً فعليه أن يكون حذراً ليبقى متحكماً في نفسه.

لكن التحكم بنفسه ضاع وضاعت معه مقاومته، إذ حطمتها بسهولة مذهلة، وكسرت كل القلاع التي بناها حوله على مدى سنوات. فقد تجاوبت معه بحرارة وشوق جعلاه يتمنى لو يستمر عناقهما إلى الأبد.

لكنه قطعه فجأة، وقال بخشونة: «لا تقولي بأن علينا أن نفترق».

كلماتها السابقة عادت إلى ذهنه، لكنه صرفها مضيفاً: «كيف يمكن ذلك بينما هذا ما يحدث لنا في كل مرة نجتمع فيها؟».

ـ غراي...

فقاطعها: «لا. لقد منحتك ستة أشهر لتدركي سوء تصرفاتك. منحتك وقتاً طويلاً».

نظرت إليه بحيرة بالغة: «ما الذي تتحدث عنه؟».

ـ ببساطة، لقد انتهى الوقت أيتها السيدة.

ومد يده ليفتح الباب: «اهربي، اختبئي، قاتلي، فذلك لا يهمني مثقال ذرة. سأتبعك ولا شيء سيمنعني».

* * *

في الوقت الذي وصلت فيه إيما إلى الكنيسة، كانت قد هدأت نسبياً واستطاعت، على الأقل، أن تخفي عن تايس اضطرابها، لكن راين الثبت كالعادة، أنها أكثر فطنة. ألقت نظرة على تايس لتتأكد من أن العروس غير منتبهة، قبل أن تتقدم منها وتساعدها على ارتداء ثوب الوصيفة.

ـ ماذا حدث؟

سألت راين بصوت خافت وهي تسوّي الحزام العريض بأناقة حول



خصر إيما: «إنه غراي، أليس كذلك؟ ما الذي فعله الآن؟».

ـ لا شيء.

لم تكذب تماماً، فقد كانت هي الملامة أكثر من غراي. فكل ما فعله هو أنه عانقها وهي كانت من الحماقة بحيث تجاوبت معه. تجاوبت وحسب؟ حسناً، فلتكن صادقة، لقد أرادت هذا العناق بقدر ما أراده، وسعت إليه بطريقة أو بأخرى. وشعرت بعدئذ أنها غبية مثيرة للشفقة. لكنها عاجزة تماماً عن مقاومة اغراء غراي ومشاعرها نحوه.

رفعت راين أصابعها في وجه إيما: «هل أنت واثقة من أن غراي لم يفعل شيئاً؟ لأن مظهرك... غريب».

ـ آه... ماذا تعنين؟

ـ أنت تذكرينني بيوسي بعد أن هربت من برايانت الأرملة.

وقاومت إيما رغبتها في تفحص المرآة. كانت تعلم أنها لا تبدو في أحسن حال وقد تملكها الاضطراب بعد هذا اللقاء العاصف مع غراي.

فقالت: «أنت تتخيلين أشياء».

بدت التسلية في عيني راين الخضراوين: «بكل تأكيد. ولهذا أرى ذقنك يحترق».

وضعت إيما يدها على وجهها بسرعة تتحسسه: «هذا غير صحيح، فقد حلق ذقنه قبل أن أذهب إليه».

فضحكت راين: «أفهم من هذا أنكما عدتما إلى بعضكما البعض».

ـ غير صحيح، أبداً. فقد تعلمت الدرس منذ ستة أشهر.

وكانت علاقتهما قد انتهت بكارثة جعلت أياً منهما لا يريد العودة إلى الآخر.

كان ذلك مؤلماً للغاية، وتطيت جبينها، تذكرت طبعاً التهديد الصغير الذي وجهه إليها قبل أن يأتيا إلى الكنيسة وهزت رأسها. لا شك



www.rewity.com

في أنه ندم على قوله هذا فهو لم يكن جاداً. لا يمكنه ذلك. كان يقول ذلك من وحي اللحظة المحمومة فقط.

قالت راين فجأة: «هل أنت واثقة من أنك تعلمت الدرس؟ يبدو عليك عدم الثقة».

ـ بسبب ما قاله غراي. لكنه لم يكن يعنيه.

أومأت راين بحكمة: «هذه هي عادته. فهو لا يعني أبداً ما يقول».

ـ هاه؟ وما أدراك أنت. غراي يعني دوماً كل كلمة يقو...

واتسعت عيناها: «رباه».

ـ بعد أن اتضح الآن كل شيء فلنتابع عملنا.

وأمسكت بشعر إيما ترفعه: «إلى أعلى أم إلى أسفل؟».

أراحها تغيير الموضوع. وتأملت إيما طول خصر راين، وشعرها الأسود البسيط بشيء من الحسد. يمكن أن تهب العاصفة فيه وتعود كل خصلة منه إلى مكانها على عكسها هي. قالت: «الأفضل أن أتركه مسدلاً. لا يسمح الوقت بإجراءات معقدة لتثبيته».

أومأت راين موافقة، ثم اختارت بعض الأزهار لتوزعها بين خصلات شعر إيما: «ألم تجد شركة الطيران أمتعتك بعد؟».

ـ لا، كما أنه ليس لديّ مكان أبيت فيه الليلة.

ـ أنت تمزحين.

فهزت إيما رأسها: «لقد أعطى الفندق غرفتي لنزيل آخر. لا أظن أن لديك سريراً».

فأجابت راين معتذرة: «أنا لن أمكث هنا، فعليّ أن أذهب إلى البيت الليلة».

قطبت إيما جبينها، ثم أوكلت أمرها إلى الله. وسألت: «ماذا حدث؟».

ـ إبقي جامدة، فكلما تحركت انزلقت الأزهار من مكانها في



شعرك.

وأعادت راين الأزهار إلى مكانها وثبتتها بالدبابيس وهي تقول: «رداً على سؤالك، لم يحدث عندنا أمر غير عادي، لكننا نحتاج في المزرعة إلى أيد عاملة وأنا لا أريد ترك جدتي وحدها».

انفتح الباب وأطلت أخت العريس برأسها منه قائلة: «حان الوقت. هل أنت جاهزة يا تايس؟».

اقتربت إيما وراين من تايس وأخذتا تتفحصانها لآخر مرة فلم تجدا عيباً فيها. بدت العروس مذهلة، بشعرها الأحمر المغطى بقبعة صغيرة يتدلى منها نقاب. وكان ثوبها محكماً على جسمها حتى وركيها، ليتسع بعد ذلك. كان أنيقاً رائعاً ويناسب شخصيتها تماماً، وقد كانت تايس هادئة بشكل مدهش.

قالت ببساطة تحبس الأنفاس: «هذا ما أريده. أنا وشايد متلائمان تماماً. لا أستطيع أن أتصور قضاء حياتي مع شخص غيره وأنا واثقة من أن هذا هو شعوره أيضاً».

لم يعد هناك متسع للأحاديث. اجتمع الكل في الردهة استعداداً لبدء الاحتفال.

سار شهود العريس مع وصيفات العروس معاً في ممر الكنيسة، لأن تايس قالت إن هذا التدبير يمنح العرس مظهراً عائلياً، رغم أنه يترك العريس واقفاً وحده مع الكاهن.

وهمست إيما لراين: «بما أن التدريب قد فاتني، كيف سنقوم بالظهور؟».

ـ سيتقدم شقيق تايس سيت برفقة شقيقة شايد سبيريت أولاً.

وأشارت راين إلى الفتاة التي أطلت برأسها من باب غرفة الإنتظار: «وبعدهما ستسيرين أنت وغراي في الممر لأتبعكما أنا مع شادو، شقيق شايد».



www.rewity.com

- انتظري لحظة. أنا أعرف شايد وشادو، لكن سبيريت؟

- هذا اسمها الأوسط. رغم أنني في الواقع، لم أسمع أحداً يناديها بهذا الاسم لأن أمها تناديها باسم هاري. وأخوها يناديها «سبرايت» و«بيت سكويك» و أنت يا هذه.

- هاري؟

فأجابت راين ضاحكة: «ألم تخبرك تايس؟ والدة شايد أطلقت على أولادها الثلاثة اسماء توم وديك وهاري».

فقطبت إيما جبينها: «ولكن ألبست شهرتهم سميث؟».

- نعم.

فنظرت إيما بذعر: «هذا فظيع. هل دعت أولادها توم وديك وهاري سميث؟ ألا تحب أولادها؟».

- أظن أن أديليد تتحلى بروح النكتة. فهي تقول إنها اختارت هذه الأسماء كي لا تنساها. أما الأب فاختار أسماءهم الوسطى.

- شادو وشايد وسبيريت؟

- هذا صحيح. ذكرت تايس شيئاً عن الأيام التي أمضتها أديليد في معسكرات الهيبيين. وأظنهما تعارفا هي وزوجها هناك.

- يا إلهي.

- لا يبدو أنه يزعج أياً منهما. وإذا أردت رأيي، أظن أنه يناسب شخصيتيهما.

بعد ذلك ارتفعت موسيقى «الأرغن»، وأخذ المنسق يرشد كل مدعو إلى مكانه. جلوسها بجانب غراي هو أمر مفروغ منه، لذا ألقى عليها نظرة وقد بدت على وجهه ابتسامة واسعة. فسألته ساخطة: «ماذا هناك الآن؟».

فقال وهو يصلح من وضع الزهرات التي كانت راين وضعتها لها في شعرها: «هكذا... أفضل».



لا بأس. يمكنه أن يكون لطيفاً حين يشاء: «شكراً».

- تبدين رائعة الجمال. ما عدا...

- ما عدا ماذا؟

- ثوبك.

نظرت إلى ثوبها. ما الذي نسيته؟ الحذاء، الحزام، فتحة العنق؟ لا أثر لبقع، أو لتمزق ما. عندما رأت أن كل شيء في مكانه، سألته: «وما به ثوبي؟».

- إنه أحمر.

- هكذا إذن؟

تردد لحظة قبل أن يقول كارهاً: «كلما لبست لوناً احمر، ينذر ذلك بالمشاكل».

ضحكت لهذا. فلتدعه يفكر في ذلك لعله يخفف من توترها. فمواجهة غراي تحتاج إلى مزيد من العون.

- إذا كنت قلقاً، أرى ألاّ تفعل ما قد يؤدي إلى طردي من هنا.

- لا يمكن أن يخطر ذلك ببالي.

لم يتلاءم قوله مع أفكارها فيما بدأ موكب العروس مسيرته نحو الهيكل. سبيريت وسيت في المقدمة وتوقفت إيما تحت قوس مغطى بالأزهار مع غراي إلى أن وصل الإثنان إلى منتصف الطريق، عند ذلك اجتازت مع غراي الممر.

حاول أن يتبادل الحديث معها: «عندما نتزوج، أود أن يتم ذلك في كنيسة كبيرة كهذه».

* * *



www.rewity.com

## ٣ ـ حتى إشعار آخر

إلى: لجنة كيوبيد.
من: شادو.
نسخة إلى غرايسن شاو.

لا يمكنكم أن تلوموني لأن غراي عرض الزواج على إيما أثناء عرس تايس. أنا لم أحضه على ذلك، ولم أقترح عليه ذلك أيضاً. حتى أنني لم ألمح إليه بهذه الحماقة.

كل النتائج التي سببتها تصرفات حمقاء يجب أن تلقى مسؤوليتها بحزم على الفريق المذنب.

(وهو «غرايسن شاو»، إن كنتم لم تدركوا ذلك).

* * *

نظر غراي إلى إيما ليرى ردة فعلها فانعكاس لون ثوبها الأحمر على وجهها يدل على شيء لكنه تابع كلامه: «إذا أقمنا زفافاً كبيراً سيتسنى لسكان البلدة أن يحضروه».

قال هذا بنبرة مهادنة، متأملاً التعبير الذي بدا على وجهها: «بإمكانهم أن يراهنوا إذا كنا سننجح في إتمام الزواج من دون أن نقوم بيننا معركة».

فنظرت إليه باشمئزاز: «ما لم تترك هذا اللغو فإننا لن ننتهي من هذه الحفلة دون معركة».



ـ إنه شهر آب... فإذا تزوجنا فيه بإمكاننا أن نستقر قبل أن تخطفك الإجازات مني.

جعلها كلامه تتعثر بالسجادة المستطيلة التي لم تكن منبسطة بشكل جيد.

عليه أن يحدث منسق الحفلة عن ذلك. فالناس يسارعون إلى رفع الدعاوي هذه الأيام. وشدّ ذراعه حولها كي لا تتعثر مرة أخرى.

وكان جوابها دفعه بمرفقها لتتحرّر من قبضته: «لن أتزوجك يا غراي. وهذا قراري النهائي».

ـ نهائي؟

وفكر في ذلك فترة وهو يمسّد أضلعه المتألمة: «هل هو نهائي حتى إشعار آخر، أم نهائي لعدة أشهر؟».

فشدّدت قبضتها على باقة الزهر: «نهائي حتى آخر الدهر. أي أنني لن أتزوجك... أبداً».

نسيت إيما أن تستعمل صوتها الرقيق ولكنها لم تلاحظ ذلك. هز غراي رأسه.

فالغضب يفعل الكثير بالمرء وغالباً ما يتسبّب في السلوك السيء خصوصاً وأنه تعمّد استفزازها: «إذن، تقولين إنك لا تريدين أن تتزوجيني. صحيح؟».

فقالت بصوت كالفحيح: «دعني أوضح لك تماماً. أنا لن أتزوجك حتى ولو كنت آخر رجل في العالم. لن أتزوجك ولو كنا آخر شخصين في العالم. حتى لو صُوبت كل بنادق العالم إلى ظهري لتضعني أمام خيارين... الزواج منك أو الموت».

لم يعبأ بأن يسألها من سيمسك بالبنادق ما داما الوحيدين على الأرض، فبعض الأخطاء في المنطق لا تستحق التحليل. والآن بما أنه أثار غيظها، قد يحصل أخيراً على أجوبة عن أسئلته التي كان يطرحها



www.rewity.com

طوال الأشهر الستة الماضية، وتعمدت إيما أن ترفض الإجابة عنها. قال: «والآن أخبريني لماذا لن تتزوجيني أبداً؟».

ـ كيف تطرح هذا السؤال؟

وتعثرت بالسجادة مرة أخرى. وسمحت له هذه المرة بأن يحيط خصرها بذراعه دون أن تهدده بمرفقها: «أنت فضحت سري. كنت أخبرتك بسرّ لكنك فضحته لحساب مصلحتك في العمل».

ـ أدركت متأخراً أنه كان عليّ التحدث معك أولاً لكن الوقت لم يسمح.

ـ لم يسمح؟ أتعني أن وقتك لتدمير جدي كان محدوداً؟ أم أنك لم تكن تملك سوى القليل من الوقت لكي تربح مليارات الدولارات على حساب الفقراء الذين وقفوا في طريقك؟

ـ في الحقيقة، خسرت عدة ملايين لأن اولئك الفقراء الذين وقفوا في طريقي كان يجهلون ما يفعلون. ولوأنني لم أتدخل لكان جدك ونصف سكان البلدة قد أفلسوا.

القت إيما بباقة الأزهار على الأرض بعنف: «هذا كذب واضح! إسحبه أو سوف...».

فقال ببرودة: «إفعلي ما تشائين، فأنا لا أكذب ولا أخدع، ولا أغش الناس».

ـ لا، تسلبهم أعمالهم فقط.

ـ كما أنني لا أسرق.

ـ لماذا إذن تملك الآن مصنع جدي تي للأحذية؟ ولماذا تحطم بعد أن سلبته عمله وهو على شفير الموت؟

ـ هل هذا سبب غضبك؟ من أجل جدك تي؟ ما الذي أخبرك به ذلك الصقر العجوز؟ يسعدني جداً أن أوضح لك الأمور.

وهنا تدخل سيت وهو ينضم اليهما: «عفواً، من المفروض أننا في



وسط الممر أليس كذلك؟ أتذكران الكنيسة، الخاتمين، الكاهن، والعروسان اللذان ينتظران هل سمعتما بهما؟».

شبكت إيما ذراعيها على صدرها: «كنت أقول لغراي إنني لن أتزوجه. ولا شيء مما يقوله سيغير رأيي».

ـ هذا عظيم. المفروض أن يتزوج أخي الآن.

وعادت راين وخلفها شادو: «لا يمكنهما أن يتزوجا بينما تسدان ممر الكنيسة يا إيما».

ثم قالت بلطف وهي تشير إلى سبيريت لتنضم إليهما: «لِمَ لا ننهي الأمر بسرعة وبعد ذلك نبدأ بالزفاف؟».

ومرت بهم طفلة في الرابعة من عمرها تلوّح بسلتها وتقدم للضيوف الورود الحمراء اليانعة، فيما تقدم حامل الخاتمين نحوهم وهو يلم الأزهار عن الأرض ويعيدها إلى سلة أخته. بدت الطفلة عنيدة، وغالباً ما كان هذا التعبير يعلو وجه إيما لذا فإن غراي يعرفه جيداً.

قالت إيما وقد بدت سيماء العناد على وجهها، كطفلة الأزهار تلك: «لا شيء هناك لننهيه. الذنب كله يقع على غراي».

وتمتم غراي: «كالعادة».

ـ معك حق، كالعادة. لو أنك لم تتقدم بعرض الزواج...

وجاء صوت برايانت الأرملة من بين صفوف المدعوين: «هل عرض عليها غراي الزواج؟ أنتما تدركان أنه سيؤثر على المراهنات أليس كذلك؟ هل تسديان إليّ خدمة وتبقيان الأمر سراً حتى أضع رهاناً سريعاً مع رئيس البلدية؟».

تجاوزتهما تايس وشايد من الناحية الأخرى، وقالت للعريس: «ربما ينبغي علينا أن نباشر الاحتفال من هنا».

انبسطت أسارير وجهه بابتسامة بطيئة: «يا حبيبتي، سآخذك إلى أي مكان يمكنني الوصول إليه. أمام الكنيسة، خلف الكنيسة، وسط



www.rewity.com

الكنيسة».

ونظر إلى غراي فتلاشت ابتسامته: «لو أنك لست صديقاً مقرّباً لهشّمت وجهك».

فأومأ غراي قائلاً: «أستحق ذلك».

ونظر شايد إلى ساعته: «هل يمكنني الإسراع باتمام الزواج؟ لأنني أحب أن أتزوج في وقت قريب واليوم، إذا أمكن».

فقالت إيما: «يمكنك أن تخبر غراي أنني لن أتزوجه. ربما سيسرع هذا الرد الأمور».

أمال شايد رأسه جانباً: «غراي، يؤسفني أن أقول لك إن إيما لن تتزوجك. وأنت يا إيما، هل تدركين أن غراي يحصل دوماً على ما يريد مهما كانت العوائق التي تقف في طريقه؟ فهذه إحدى مزاياه المعروفة».

ـ أعرف هذا جيداً. ولسوء حظه أنه اصطدم بحاجز لا يمكن زحزحته.

فرك غراي يديه ببعضهما: «إنه تحدٍّ».

فتمتمت تايس: «يا إلهي... من الحماقة أن تتحدّيه، يا إيما، كنت أظنك تعلمت هذا الدرس».

وأضافت راين: «انطلاقاً من خبرتي الشخصية يمكنني أن أخبرك أنهم يصبحون أكثر تصميماً».

لوحت برايانت الأرملة بهاتفها الخلوي في الجوّ: «المايور هورنسبي رئيس البلدية يقول إن الاحتمالان الآن هما اثنان مقابل واحد ضد زواج غراي وإيما. هل من مراهنين؟».

فقالت إيما بحدّة: «يعجبني الأمر. سجّلي عليّ خمسين».

فهز غراي رأسه: «أنت تبددين نقودك. هذا رهان سيء».

ـ بل هو ممتاز ولا شيء مما تفعله أو تقوله قد يقنعني.

ـ سنرى.



وأدار وجهه إلى الموجودين في الكنيسة: «من منكم يريد أن يراهن؟».

نظر البعض بتردد نحو برايانت الأرملة، فقال شايد: «سجلي عليّ عشرين دولاراً لصالح غراي».

ـ وعشرة دولارات رهاناً على أن غراي سيتزوجها قبل نهاية الشهر.

التفتت إيما بعنف لتواجه تايس: «كيف تقولين هذا؟».

ـ آسفة يا حلوتي، كنت في مثل وضعك منذ فترة قريبة، وقد تعلمت درسي. لا أمل لك في الفوز.

نظر غراي إلى وجه إيما فأدرك أن الأمر قد تمادى كثيراً ولم يعد يحتمل النقاش، فالتقط باقة الأزهار وناولها إياها. لم تكن حالها جيدة بعد سقوطها على الأرض، لكنها تفي بالغرض.

حدقت إيما منزعجة في الباقة: «آه، لا. أنظر ماذا فعلت».

لم يعجبه كلامها، ولكنه أدرك أنها لم تكن مستاءة فقط لأجل الأزهار بل لأنها أفسدت عرس أعز صديقاتها. لم يشك في أن الشعور بالذنب سيعتريها بسرعة وتليه الدموع، فإذا لم يشأ أن يستحيل الزفاف إلى كارثة حقيقية، عليه أن يتصرف وبسرعة.

ـ الأزهار ليست بحال سيئة.

طمأنها ثم أخذ يصلح من وضع العقدة الحريرية البيضاء، وقال: «ها قد أصبحت جديدة تقريباً. ما رأيك في إكمال الطريق؟».

وافقته على الفور فالفوضى التي عمّت الموقف لدقائق معدودة قد انحسرت.

عندما أخذا يسيران في رواق الكنيسة لم ينفوّه غراي بكلمة، حتى عندما رمقته بنظرات جانبية. وعندما اتخذا مكانهما إلى جانب تايس وشايد وهما يتبادلان العهود، تسمرت نظرات غراي على عروسه المقبلة.



www.rewity.com

قريباً، قريباً جداً سيصلح ما بينه وبين جدها، وسيردد مع إيما نفس الكلمات. لم يحدث أن فشلت لجنة كيوبيد، ومهما طال الوقت، ستصبح إيما له.

* * *

أمسك غراي بمرفق إيما: «هذه أسوأ حفلة استقبال حضرتها».

ثم تبعها إلى خارج مطعم «هاوس ميلانو» فاجتازا باحة الرقص من خلال البوابة، ووقفا بجانب النافذة التي تمتد من الأرض إلى السقف.

ـ لم يكن العرس فخماً تماماً.

أجفلت إيما فهو لم يكن يبدو سعيداً، تمنت لو أنه يخفف من غضبه في هذا المطعم المزدحم بالزبائن. من بعيد، كانت تسمع أنغام الموسيقى والضحكات تنبعث من قاعة الاستقبال. أما في هذا المكان المعتم فقد خرست الأصوات ما زاد من الانطباع لديهما أنهما حبيسا هذا العالم الصغير.

سألته: «أظنك تلومني لما حدث في العرس وحفل الاستقبال؟».

ـ ومن غيرك ألومه؟

لكزته على كتف قميصه الثمين: «إبدأ بنفسك».

كانت أضواء المدينة تتلألأ كالنجوم، ممتدة إلى المرفأ حيث كانت المراكب تتألق كالكهرمان وسط المياه الحالكة السواد: «لو أنك لم تقل ذلك الكلام السخيف، أثناء الاحتفال، عن الزواج...».

ـ كان كلاماً عفوياً تبادلناه خلال سيرنا.

لم تصدق أن غراي يمتلك الجرأة ليأتي بمثل هذا الرد.

ـ لم يكن كلامك بريئاً ولا عفوياً. فقد أوضحت نيتك بصوت مرتفع أمام نصف العالم.

رفع حاجبيه لهذه المبالغة فأعلنت بغيظ: «لا بأس، أمام نصف سكان سياتل ولكنه لا يغير من حقيقة أنك أخطأت بإجراء حديث كهذا



خلال زفاف تايس».

ـ لست أنا من توقف فجأة في منتصف الممرّ ملقياً باقة الأزهار على الأرض.

ـ لن أتحدث معك مرة أخرى. لقد اعتذرت إلى تايس، ولحسن الحظ أنها تتمتع بروح النكتة.

رائع... لقد فهمت حماقة غراي تلك وكأنها عرض جاد للزواج.

ـ ومن حسن حظك أن شايد يملك هو أيضاً روح النكتة، فبعد أن أمضيت سنوات الجامعة برفقته، يمكنني أن أضمن أنك لن ترغبي في أن تخاصميه.

ـ لا يجدر بي أن أقف هنا لأتجادل معك. لقد انتهى حديثنا.

واستدارت مبتعدة. لكن الغيظ تملكها وهي ترى غراي بجانبها، فقالت تحذّره: «لا يمكنك أن تأتي معي».

ـ بل يمكنني ذلك.

ـ ليس إلى حيث أنا ذاهبة.

في مكان قريب من هنا، وضعت الملابس التي حضرت بها إلى المدينة في زيارة خاطفة هذا الصباح. لكن لسوء الحظ، أن إدراكها بالإتجاهات ضعيف.

وقبل أن تضطر إلى إخبار غراي عن ذلك، إذا برجل متوسط السن يبدو أمامهما. كان يرتدي سترة رسمية مزدانة بوردة بيضاء.

ـ مساء الخير يا آنسة بالمر، ويا سيد غراي. أهلاً بكما في مطعم هاوس ميلانو. هل من خدمة؟

نظرت إيما إليه بدهشة: «أنت تعرف اسمينا؟».

فقال غراي: «جورجيو يعرف الكل وهو معروف بذلك».

فقال الرجل بابتسامة خفيفة: «أنت تشعرني بالغرور، يا سيد شاو».



www.rewity.com

ـ كما أنه معروف بالمحافظة على سمعة المطعم، ففي آخر مرة كنت هنا، اضطر جورجيو تقريباً إلى طردي من المكان.

وازداد اقتراباً من إيما: «أنا وشايد لم نتصرف جيداً».

فقال جورجيو: «نحن لا نسمح لتلاميذ المدرسة بأن يحدثوا شغباً في المطعم».

ولاحظ اهتمام إيما لهذا الخبر السار فعاد يقول: «كان غراي وشايد يتشاجران».

فقال غراي: «شايد بدأ ذلك، وأنا دافعت عن نفسي فقط».

ـ عمّ كنتما تتجادلان؟

فهز كتفيه: «كان صديقي يظنني على علاقة بتايس. لم يفهم أنني من الرجال الذين يخلصون لامرأة واحدة».

فكرت إيما أنّ الوقت حان للانسحاب، فقالت لجورجيو: «وضعت أشيائي في خزانة بالجدار في مكان ما هنا. هل لديك فكرة؟».

ـ من هنا، يا آنسة بالمر.

وفتح باباً قريباً وأخرج حقيبة تحتوي على الملابس التي كانت ترتديها ذلك الصباح ومعها حقيبة يدها. فناولها إياها وهو يقول: «هناك استراحة للسيدات عند المنعطف».

تمتمت وهي تتناول منه حوائجها: «شكراً».

ـ إذا احتجت شيئاً آخر، فلا تترددي في أن تسأليني.

أمسكت إيما بحقيبتها. عندما تركت بلدتها هذا الصباح كانت ممتلئة بالحماسة، ولكن الأمور لم تسر كما ترغب. فبدلاً من أن تمضي يوماً استثنائياً مع صديقيتها، أمضته في المطار، في طائرة ثم في عربة. اغرورقت عيناها بالدموع بشكل غير متوقع، فاليوم هو نهاية الارتباط بين ثلاث نساء، كن شقيقات أكثر منهن صديقات. لكنها فوتت عليها



البرنامج الذي وضعنه، والأسوأ هو أنها حوّلت عرس تايس إلى كارثة حقيقية.

ألقت على غراي نظرة اتهام من بين دموعها. لقد بذلت جهدها لتحول عرس تايس إلى كارثة، ولكنه لم يحاول ردعها: «عن إذنك. أريد أن أغير ملابسي».

فسألها باهتمام: «أنت تبكين، أليس كذلك؟ آه، إصغي إليّ يا إيما..».

لكنها لم تمنحه الفرصة للبدء في حديث جديد، وإن كان غراي لم يعتد الأحاديث الطويلة، لأن اختصاصه هو الأوامر الكاسحة. استدارت عند المنعطف ودفعت باب استراحة السيدات! ومرة أخرى لم يعبأ بقرارها وإنما تبعها بكل بساطة.

التفتت إليه غير مصدقة: «لا يمكنك أن تدخل معي».

ـ ولماذا؟

وأمسك بذقنها يديره إلى الضوء، وبرقة زائدة أخذ يمسح دموعها: «ماذا حدث؟ لماذا تبكين؟».

قاومت إيما الرغبة في أن تلقي بنفسها بين ذراعيه كما كانت تفعل وهي يافعة. متى تتعلم أنها لم تعد تنتمي إليه؟ وهددتها الفكرة بمزيد من الدموع، فأرغمت نفسها على الابتعاد عنه. ربما ستنجح وهي بعيدة عنه في السيطرة على مشاعرها. إذا تمكنت من إبقائه بعيداً عنها، قد تُحل كل مشاكلها.

وأجابت: «لا أريد أن أتحدث معك بالأمر. ابتعد عني أرجوك».

ـ لن أتركك.

ـ لم أعد أبكي. عليك أن ترحل. وإذا لم تلاحظ، هذه الغرفة خاصة بالنساء ولا يسمح للرجال بدخولها. أتظن أن العقاب الذي كنت سأوقعه بإدي ماكوير سينجح معك؟



www.rewity.com

ـ مستحيل.

ـ في هذه الحالة، عليك أن تذهب.

ـ لماذا؟

فأجابت بحدّة: «غير مسموح لك بالبقاء هنا. ستقع في المشاكل».

لكنه نظر حوله وقال: «لا أسمع أي تنبيهات، كما أنني لا أرى امرأة مغمى عليها من الصدمة».

ـ لأنه لا يوجد هنا امرأة ليغمى عليها.

ـ ما عداك.

هذه المناقشة خففت، لحسن الحظ، من دموعها فواجهته بطيشها المعتاد: «أنا لست من النوع الذي يغمى عليه».

ـ إذن، ليس هناك مشكلة.

سحب كرسياً وجلس عليه. وفي هذا المكان الأنثوي تجلت رجولته البالغة. بدا خطيراً وضخماً، فأحست به يهدد سعادتها.

ألقت بحقيبة يدها على منضدة بجانبه، ثم أخرجت ملابسها من الحقيبة الأخرى: «هيا يا غراي، أريد أن أغير ملابسي».

ـ أنا لا أمنعك.

ـ كم مرة عليّ أن أخبرك بأنه لا يفترض بك أن تكون هنا؟

ـ لم ننه كلامنا بعد.

وحلّ ربطة عنقه ثم أزرار قميصه، ملقياً بها قرب حقيبة يدها: «لماذا تغيرين ملابسك؟ تبدين ممتازة في ثوب الوصيفة».

حوّلت نظراتها عنه، لا شك في أنه تصرّف متعمد ليحرك مشاعرها... ماذا لو نجح في إرباكها؟ بإمكانها أن تبقى متماسكة أثناء الحديث مع غراي على أن تبقى بعيدة عن متناول يده: «أنت تعني أنني أبدو ممتازة بالرغم من ثوبي الأحمر».



ـ نعم بالرغم من ذلك.

ـ أنا أغير ملابسي لأنني ذاهبة إلى بيتي.

وابتسمت له بعذوبة ساخرة: «هذا منطقيّ. عليك أن تقدّر ذلك».

ـ يمكنك دوماً أن تمضي الليل في المدينة.

ـ صح، فيما برايانت الأرملة حصلت على غرفتي في الفندق.

لم يعجبه جوابها، وتململ في كرسيه ما أثار اضطرابها. كيف يمكنه أن يفعل ذلك على كل حال؟ لقد استطاع، من دون أن ينطق بكلمة، أن يعبّر عن استيائه بطريقة قد تدفع الإنسان العادي إلى الهرب والإختباء، لكن ليس هي. ثبتت رجليها مكانهما، فلا سبيل إلى ذلك. لحسن الحظ أنها كانت تعرفه إلى حد لم يعد عبوسه يخيفها، كذلك نظراته القاسية أو توتره الواضح. أو على الأقل، لم يعد يخيفها كثيراً.

سألها: «ولماذا تذهبين إلى بيتك؟».

ـ راين عائدة بالطائرة إلى تكساس الليلة، فعرضت علي أن أشاركها سيارة الأجرة إلى المطار، ففكرت في أن ذلك سيمنحنا الفرصة للحديث معاً بما أننا لم نستطع التحدث قبل العرس. كما أنني لا أملك غرفة في الفندق. وهكذا بدا من المنطقي أن أذهب إلى بيتي.

وابتسمت بعذوبة ساخرة: «وأنت تقدّر المنطق، أليس كذلك؟».

ـ يمكنك دوماً أن تمضي الليل في غرفتي.

ـ صح، وبرايانت الأرملة ستخبر أهل البلدة كلهم أننا أمضينا الليلة في الغرفة نفسها.

تبا لغراي، فقد ألصق تلك الجملة في رأسها بحيث لم تعد تستطيع سلخها وأضافت: «شكراً، لكنني لا أستطيع ذلك».

ـ إنها فكرة فقط.

دخلت إلى أحد الحمامات لتفتح سحاب ثوبها: «لماذا أنت هنا؟ ما هو الشيء الذي لا يمكن إرجاؤه؟».



www.rewity.com

- القائمة طويلة.

فقالت ضاحكة: «لماذا لا يدهشني هذا؟».

- لأنك تعرفينني جيداً.

لم يسعها المناقشة. فهو مستعد للمواجهة على الدوام وهذا هو سبب نجاحه.

- هل ما زلت موجودة؟

هل بات صوته أرق من العادة؟ لا بد أن مخيلتها تصور لها ذلك؟ وأجابت: «تابع وأخبرني عما تحوي قائمتك تلك. لا نريد أن نتجاوز أي شيء هام».

دهشت عندما لم يتجاوب مع مزاحها بل قال: «أولاً، أنا آسف جداً لما حدث في العرس. لم أكن أنوي قط أن أبدأ نقاشاً أو شجاراً».

شقت الباب قليلاً لترى إن كان جاداً. فقالت: «قبلت اعتذارك. ماذا بالنسبة إلى حفل الاستقبال؟».

هز رأسه وقد بدا العناد على وجهه: «لم يكن ذنبي».

تركته يدرك رأيها بنفسه، إذ صفقت باب الحمام بعنف وقالت: «ربما أنت الوحيد الذي كان تحت تأثير فكرة خاطئة في الحفلة. استغليت إلقاء باقة الأزهار وحولتها إلى مشاجرة علنية».

- لست أنا من طلب منك قذف الباقة.

خلعت ثوبها وألقت به على كرسي: «أنا فعلت ذلك فقط لأنك تدخّلت».

وارتدت بلوزتها، ولكن الأزرار اللؤلؤية رفضت أن تدخل في العرى. لا شك في أنه ذنب غراي. لكن ذلك لم يغير من قناعتها: «رمي الباقة ليس لعبة رياضية. لا يحق لك أن تستغل الأمر لتؤثر على النتيجة».

- كانت تلك ضربة خفيفة بريئة.



- بريئة؟ رباه.

ورفست حذاءها من تحت الباب ثم أخذت ترتدي بنطلونها فأردف بقوله: «كانت الباقة سترتطم بالأرض لولا أنني لم أتبعها بضربة خفيفة. كنت بذلك أراعي أصول الضيافة».

فقالت وهي تدس بلوزتها تحت بنطلونها: «كنت حقاً ضيفاً مراعياً لأصول الضيافة».

- لم يكن عليك أن تقفزي. لكنني رأيتك تقفزين كالغزال، حتى في هذا الكعب العالي.

- بالغريزة.

وخرجت من الحمام: «أنت سمعت بالغريزة من قبل، أليس كذلك؟».

فقال بابتسامة واسعة مغرورة: «وهي لم تفشل أبداً».

أمسكت فردة من حذائها في وجهه: «قل هذا لتلك الصهباء المسكينة التي كدت تطرحها أرضاً عندما اعترضت سبيل الباقة».

- هذه ليست مشكلة، لأنها لن تتزوج حتى لو تلقتها. ولا فائدة من منحها أملاً زائفاً.

- أنت فظيع!

وأخذت تقفز على قدم واحدة وهي تحاول أن تجد فردة حذائها الأخرى. أين تراها ذهبت؟ لا يمكن أن تكون قد رفستها بعيداً.

- أنت لست قاسياً في العادة، يا غراي. ماذا جرى لك؟

- أنا صادق فقط. لن تستطيع تلك المرأة أن تتزوج، ولست واثقاً من أنها تريد ذلك.

- آه، أرجوك!

ورأت أخيراً فردة حذائها تحت إحدى المقاعد. وعاودت حديثها: «وكيف عرفت ذلك؟».



www.rewity.com

أخذ يعد على أصابعه كعادته حين يكون منطقياً للغاية: «أولاً، لم تكن في العرس وإلا لرأيتها. لأن من الصعب ألاّ ينتبه المرء لشعرها ذاك».

ـ ربما جاءت متأخرة فنالتها مراسم الزواج.

ـ لا. سمعت والدة تايس تسأل عنها، إذ لم يعرفها أحد.

وانحنت إيما تربط شريط حذائها: «لم تفسر لي بعد لماذا لن تتزوج تلك المرأة أبداً».

ـ سأصل إلى هذا. وثانياً، على أصابعها، أحرف منقوشة بالوشم.

ـ ماذا؟!

ـ الأحرف هي تهجئة لكلمتي (عدوة الرجال).

وأمال رأسه مفكراً فقد تكون الكلمتان هما (آكلة الرجال) وتابع يقول: «وفي نهاية الجملة رسم لجمجمة وعظمتين ترمزان إلى الموت. فما كنت لأدعها تحصل على باقة أزهار تايس».

ـ ما زال هذا تدخلاً لا يستحق إعادة قذف باقة الزهر.

ـ أهذا رأيك؟

ـ نعم هذا رأيي.

تخلت عن الجدل معه ونظرت إلى حقيبة يدها. لقد باتت جاهزة للذهاب، وكل ما بقي لها هو ثوب وصيفة العروس وحقيبة يدها الموجودة على المنضدة، بجانب غراي. ربما يريد للحديث أن يطول لكنها صممت على اعتماد طريقة الجبناء في الخروج. وستنتهز أول فرصة لتولي هاربة، ولكنه كان يسدّ طريق الخروج.

وكأنما شعر بنيّتها، فنهض واقفاً واقترب منها. وتوتر حلقها فجأة. لطالما كان طويلاً بشكل غير مريح، لكنها كانت تظن أن قصر قامتها هو المسؤول عن هذا الانطباع. وبالرغم من أن كل سكان قرية بالمر وجدوا أن غراي فقد سيطرته على أعصابه منذ تعدى سن



المراهقة، إلا أنها لم توافقهم الرأي...

قال لها: «حان الوقت لإطلاعك على البند الثاني في قائمتي».

هل هذا تحذير؟

وقالت: «وما هو ذاك؟».

حاولت أن تتحلىّ بالشجاعة، لكنها فشلت.

ـ أنت... أنت هي الثانية على قائمتي.

* * *



www.rewity.com

## ٤ ـ حب بطعم الشوكولا

من: غرايسن شاو.
إلى: المعتوه شادو لدى لجنة كيوبيد.

قلت إنك ستهتم بالأمور. لم تقل إنك ستجعلها تبكي! هل لديك فكرة كم كانت متشوقة لقضاء بعض الوقت مع راين وتايس؟ ألم تفكر في خطة أفضل من أن تجعل الرحلة تفوتها؟ كما أنك جعلتها تخسر غرفتها في الفندق. كيف ستتجز ذلك يا شادو؟

ولكن شادو بعث إليه بردّ.
إلى: السيد المزعج غرايسن شاو
من: شادو.

هذه هي النتيجة عندما يشترك الهواة في أعمال المحترفين. لقد سبق ونبهتك إلى احتمال الفشل إذا كنت تعرف أكثر مما ينبغي. ولكن هل كنت تسمع؟ لا!

دعني أخبرك شيئاً آخر... نظراً لما فعلته في العرس وحفلة الإستقبال، هل لديك الجرأة على التذمر من تصرفاتي!؟ لقد سهوت عمّا هو واضح، فأنا من يسيّر أمور لجنة كيوبيد، وليس أنت. والآن



ابتعد عن طريقي وإلا فإنك ستفشل هذا الزواج!

* * *

تراجعت إيما خطوة: «أرى أن عليك أن تشطبني من قائمتك».

بدا صوتها غريباً، كم هذا مزعج! تنحنحت وعادت تقول: «من المفروض أن أقابل راين حالما أنتهي من تغيير ملابسي. وأنا الآن أرتدي ملابس مختلفة عن تلك التي جئت بها إلى هنا، وهذا يعني أنه حان الوقت لخروجي».

وقف غراي أمامها: «على راين أن تنتظر».

ـ لا أدري فطائرتها ستقلع بعد...

فقاطعها: «كنت تبكين منذ فترة. لماذا؟».

فهزت رأسها: «أخبرتك بأنني لا أريد الحديث عن ذلك».

ـ بإمكاني أن أخمن ما جرى لك.

لمَ لا يدعها تذهب؟ لماذا يضغط عليها بينما كل ما تريده هو أن يدعها وشأنها: «أتمنى لو أنك لا تفعل».

ـ أعرفك منذ سنوات طويلة، هل نسيت؟ مرّ علينا وقت كنا فيه نتبادل الأسرار ونخبر بعضنا بكل شيء.

كان يتحدث بلهجة منخفضة، مبقياً إياها مسمرة وقد تملكها مزيج من الإحباط والعجلة. وتابع يقول: «أما الآن فقد بات عليّ أن أخمّن ما حدث لك».

ـ تغيّرت علاقتنا وأنت من غيّرها. أم أنك نسيت تلك التفاصيل الصغيرة؟

ـ وأنت لم تواجهي ذلك التغيير، وهذا هو السبب في تكدرك. كل شيء أصبح مختلفاً الآن. تي وشركة أحذية بالمر. نحن الإثنان، علاقتك بأصدقائك، لم تعد الأمور كما كانت.

لم تعبأ بالإنكار. ولماذا تهتم؟ إنها الحقيقة: «سأتكيّف مع الأمور



www.rewity.com

كعادتي».

ـ كيف؟ باعتزالك كل شيء؟ باعتزالك الناس الذين يسببون لك الألم؟

وتقدم منها خطوة: «إصغي إليّ يا إيما. تايس لن تتركك».

ـ أعرف.

ـ لست واثقاً من أنك تعرفين.

ووضع يديه على كتفيها: «إسمعي ما أقوله، يا حبيبتي. هي لن تتركك».

فردت بحَدة ونفاد صبر وهي تتململ تحت يديه: «إنها ستتزوج فقط. نعم. أنا أعلم».

لم يتركها بل راح يكلّمها برقّة: «عقلك يعلم، لكنني لا أظن أن قلبك يدرك ذلك. تايس لن تتركك شأن أبويك».

ـ طبعاً لا، لأن تايس لم تمت...

وتملك إيما الذعر عندما تهدّج صوتها. لقد أفلتت منها الحقيقة بشكل لا إرادي: «ولكنني أشعر وكأنها ماتت...».

جذبها إلى صدره يحتضنها: «فقدت والديك في الخامسة. ورغم أن جديك منحاك بيتاً آمناً، لكن موت جدتك وأنت في الثانية عشرة شكل خسارة أكبر من أن تواجهيها أنت في مثل تلك السن المبكرة. لا غرابة في أنك لا تحبين التغيير وتهربين منه».

ـ أنا لا أهرب منه.

ـ ربما لا تعتبرينه هرباً. عندما كنت صغيرة كنت تختبئين في كوخ الشجرة الذي بنياه مع جدك تي. ربما لم تعودي تذهبين إلى هناك بجسدك، أنت تهربين إلى مكان مألوف وآمن لتختبئي حتى يتلاشى الألم.

ـ هذا يسمى روتيناً.



وتلاشى صوتها، بينما قال وهو يضحك برقة: «إنه مريح حقاً ولكن ليس عندما تكونين وحدك».

ورفع وجهها إليه: «ما زلت هنا يا حبيبتي. ولديك جدك رغم وضعه الصحي المتردي. كما لديك أصدقاؤك. لن يذهب أحد منا إلى أي مكان. أتعهد لك بذلك».

أجابت: «لكن الأمر لن يكون على حاله أبداً. لقد خسرت تلك الساعات التي كنت أمضيها مع تايس وراين، ولن أستطيع استعادتها».

ـ آسف يا إيما. أتمنى لو استطيع شيئاً لأصلح الأمر.

هزت رأسها، مصممة على أن لا تضعف أمام زرقة عينيه: «لا يمكنك ذلك. لم يعد من شأنك».

ـ يمكن أن يعود كذلك.

ـ ما كان بيننا قد...

مدّ يده يلامس خدها فضاع جوابها. وأغمضت عينيها وهي تحاول أن تستعيد أفكارها المشتتة.

ما الذي أوشكت أن تقوله؟ آه، نعم: «ما كان بيننا قد...».

دسّ أصابعه في شعرها، متخللاً الأزهار المشبوكة فيه. لقد نجحت لمسته حيث فشل كل شيء آخر. لم يسكت تلك الكلمات المختلطة التي كانت في ذهنها سوى لمسته البسيطة على شعرها. وتحوّلت كلماتها المنطقية إلى مشاعر لا يوقظها فيها سوى رجل واحد، مشاعر انتشرت في كيانها، وسرت في عروقها. وسقطت بعض الأزهار من شعرها مشكّلة دائرة عزلتهما عن بقية العالم، وكأنهما في خضم أحد الطقوس القديمة.

وتمتم: «يمكنك أن تهربي، لكن ذلك لن يغيّر شيئاً».

فهمست: «لست هاربة».

وهل بإمكانها ذلك؟ كانت محبوسة في حلقة من الأزهار وذراعاه



www.rewity.com

تشكلان رباطاً لا ينفصم. لا يمكنها أن تهرب فتدنس حلقة الأزهار التي تثبتهما في مكانهما.

ـ بل أنت كذلك. أنت هاربة. لكني سألحق بك ولن أستسلم. لن أتركك يا إيما أبداً.

كان يعرفها جيداً، يعرف كيف يثير ردات فعلها. أما من شيء يردعه؟ أتراه قاسياً بحيث يفعل أي شيء لينال ما يريد؟ وسألته: «لم تفعل هذا؟».

ـ لأنني أرغب فيك.

ـ الرغبة لا تكفي.

ـ إنها بداية. إذا عالجنا الأمر بعناية، قد يصبح ذلك أعمق بكثير.

ـ دعني أذهب، يا غراي.

ـ ليتني أستطيع.

وأحنى رأسه ليعانقها بعاطفة مشبوبة.

كان عناقه تعهداً... يشبه ما تبادله شايد وتايس، لكن عناقهما تحدّث عن الأمل والثقة والحب إلى الأبد. كان التزاماً لم تستطع أن تسمح به لأنها لا تثق بدوافعه. لا تستطيع أن تثق بأنه لن يغدر بها مرة أخرى. دفعته عنها ثم تجاوزت دائرة الأزهار.

ـ لا. أنت قررت أن تتخذني زوجة من دون أن تعبأ بما أريده أنا. أليس كذلك؟ عندما تقرر أنت الأمر، عليّ إما أن أوافق وإما تجد طريقة لتجعلني أوافق.

لم يقل كلمة. لم يكن مضطراً لذلك. لكنه شعر بتوتر، إذ انقبضت يداه، بعد أن أصابت الحقيقة.

وقال: «أنا لن استعمل القوة أبداً».

ـ لكنك تجد طريقة تحصل بها على هدفك، أليس كذلك؟

ودخلت الحمام حيث استعادت ثوب وصيفة العروس الذي خلعته



وهي لا تدري ماذا تفعل به، فدسته في حقيبة يدها. لم تسع الحقيبة له تماماً فبقي الحرير الأحمر اللامع يتدلى من فتحتها إلى الأرض: «أنا راحلة ولا أريدك أن تتبعني. فما كان بيننا قد انتهى».

ـ أنت تحبينني يا إيما. تحبينني منذ كنت مراهقة.

بدت على فمها ابتسامة جانبية: «وما شأن هذا؟ أنا أحب الشوكولا أيضاً».

ـ والمعنى؟

ـ أحب الشوكولا، إلا أنني لا أستطيع أن آكله إلا بقطع صغيرة.

ـ أنا لست شوكولا.

فاتسعت ابتسامتها: «أنت لست شوكولا فقط يا غراي. أنت حلوى أحلى وأدسم، حتى أنني لا أستطيع أن أنظر إليك دون أن أفكر بأن لقمة واحدة ستسبب لي من الضرر أكثر مما أستحق...».

ودون كلمة أخرى، استدارت وغادرت استراحة السيدات.

وقف غراي لحظة طويلة متأملاً ما سقط منها من أزهار: «لدي خبر لك، يا حبيبتي. سواء أكنت الحلوى التي تحبينها أم لا، فأنت ستتعلمين كيف تحبينها. سوف تتعلمين أن تحبيني بأية طريقة».

* * *

فتح «شادو» الخلوي وطلب رقماً: «نعم، إنه أنا».

سألته أديليد: «هل سُوّي كل شيء؟».

ـ فعلت ما طلبته مني بالضبط. لكن لم يعجبني الأمر. ماذا لو فشلت الخطة وتأذت إيما؟

ـ لا شيء سيفشل ولن يتأذى أحد.

ـ ربما عليّ أن أبقى معها حتى...

ـ لقد أخبرتك بأنه زواج صعب، بالغ الدقة.

فعبس: «صحيح ولكنني لم أتعوّد الجلوس في المقعد



www.rewity.com

الخلفي».

- أنتم المنفذون كلكم متشابهون، تعتقدون أن لا أحد في العالم يمكنه أن يعالج أمر علاقة غرامية بسيطة دون مساعدة منكم.

- لماذا، برأيك، ترتفع نسبة الطلاق؟ لأنه لا يوجد ما يكفي من «المنفذين» للتوسط في زيجات مناسبة.

- وماذا بالنسبة إلى زواجك؟

فقطب شادو حاجبيه: «ماذا تعنين؟».

- أنا أتساءل متى ستفكر في تدبير زواج لك. ما كنت لأمضي حياتي في التدخل بشؤون الآخرين لو كان لدي أحفاد يشغلون وقتي.

كان عمله يشكل عائقاً هاماً، ولكنه أردف: «أولاً، أنا غير مهتم بالتفتيش عن زوجة لي. وقد أوضحت لكم هذا تماماً عندما التحقت بالعمل. تتذكرين أنه كان أحد شروطي للعمل معكم، أليس كذلك؟

فقالت: «لا أكاد أتذكر».

- ثانياً، لديك تايس وشايد ليزوداك بكل الأحفاد الذين تحتاجينهم، ويمكنك أن تطلبي أمراً مماثلاً من سيبريت.

- أفضل أن تتزوج قبل أن تبدأ بإنجاب الأطفال. وما هو البند الثالث؟

- وما الذي جعلك تظنين أن هناك بنداً ثالثاً؟

- أنا أعرفك يا شادو، فأنت مثل غراي بالضبط. دائماً هناك (ثالث).

- ثالثاً، يمكنك أن تحصلي على مئة حفيد ثم تبقين كيوبيد القرن الحديث. لا يمكنك أن تقاومي ذلك.

- ذلك لأنني صاحبة قلب شاعري مثلك تماماً، يا عزيزي.

وقبل أن يجد وقتاً ليشرح لها فيه خطأها، أقفلت الخط. فصرخ محبطاً: «أنا لست شاعرياً. بل أحب فقط التدخل في أمور الناس».



حملق في الهاتف. أدرك أخيراً ما كان يريد أن يقوله لها ولكنها أقفلت الخط. ولا شك أنها الآن تضحك من كل قلبها.

وأقفل هاتفه وهو يتمتم: «يا للأمهات!... لا يمكن العيش معهن. ولا يمكن أن تبصر النور من دونهن».

* * *

صفقت إيما باب سيارة الأجرة، ثم استدارت نحو فندق كينغز كراون بألوانه التي تشع تحت المطر المنهمر. لم تستطع التكهّن ما إذا كان سيتم الترحيب بها أم نبذها. وابتعدت السيارة وأحدثت عجلاتها رذاذاً من الماء فتلطخت ثيابها. لكنها فكرت عابسة أنه لم يعد يهمها.

انفتح باب الفندق فدخلت وهي تعرج بعد أن انكسر كعب حذائها، لم يعد أمامها سوى أن تتدبر أمرها في السير. اجتازت المدخل الرخامي المتألق، متجهة إلى المصاعد دون أن تجرؤ على النظر يميناً أو يساراً. كما أنها لم تجرؤ على النظر خلفها، لأنها كانت تعرف أن ما ستراه... هو خط من الوحل كخط البزاقة.

وجاء صوت من مكتب الإستقبال: «عفواً، يا آنسة. هل لك أن تتفضلي بتسجيل اسمك؟».

تجاهلته إيما، ولم يكن خيارها ذكياً فقد سمعت موظف الإستقبال يطلب حراس الأمن. دعت الله ألاّ يمنعها أحد. فهي ليست نزيلة وليس لديها نقود أو هوية. كما أنها مبتلة من رأسها حتى أخمص قدميها. فثيابها الحمراء أصبحت الآن سوداء، وصبغت أرض المطار. من كان يظن أن الأرض يمكن أن تصبح بتلك القذارة؟ لا بد أن موظف الاستقبال يظنها متسكعة مجنونة جاءت لتغزو فندقهم الرائع.

دخلت إلى المصعد مع دخول أحد رجال الأمن إلى الردهة، فضغطت الزر إلى الطابق الثالث والثلاثين ثم وضعت إبهامها على زر الإقفال. لأول مرة، كان عملها صائباً.



www.rewity.com

خطت إيما من البركة التي تجمعت عند قدميها وإذا ببركة أخرى تتجمع في مكانها الجديد. بإمكانهم الآن أن يتبعوا أثرها من الوحل والماء الذي يسيل منها.

توقف المصعد فهربت منه راكضة في الممر بقدر ما سمح لها حذاؤها. ترددت أمام غرفة «برايانت الأرملة». كان الوقت متأخراً ولا شك أن الأرملة مستغرقة في النوم منذ وقت طويل. لكن نوم الكبار في السن ليس عميقاً عادة، والجدتي يشكو دوماً من أرق الشيخوخة.

دقت إيما الباب برقة بعد أن ألقت نظرة سريعة على باب غرفة «غراي» المقابل، آملة أن يخدمها الحظ فلا يسمعها.

ـ هل أنت هنا يا برايانت الأرملة؟ أنا إيما.

ومرت الثواني دون جواب فقرعت الباب بقوة: «أنا إيما بالمر. أريد المساعدة».

وصل المصعد منبهاً إلى مجيء شخص ما. ماذا لو كان حارس الأمن؟ تنفست بعمق، وتخلت عن الحذر. إذا أراد حارس الأمن أن يلقي بها خارج الفندق، فلتمنحه سبباً لذلك.

ورفعت يدها بكل قوتها وطرقت الباب: «افتحي لي الباب، أرجوك، يا برايانت الأرملة».

انفتح الباب المقابل بسرعة، فالتفتت إيما باستسلام لتواجه غراي. وبنظرة واحدة أدركت أنها أيقظته من نومه، فقد غيّر ملابسه إلى بنطلون قطني داخلي وبدا على وجهه عبوس ذكرها بالأيام الماضية.

كانت تعرف، حينذاك، كيف تزيل ذلك العبوس. نظر غراي إليها غير مصدق: «ما الذي حدث لك؟».

ـ إنها مأساة طويلة. قصة أطول من أن تقال هنا في الممر.

ونظرت بسرعة إلى الممر حيث كان رجل ضخم يتقدم باتجاهها بخطوات واسعة حازمة. فقالت بسرعة: «أدخلني، أرجوك».



لكنه شبك ذراعيه على صدره: «أعطني سبباً واحداً معقولاً لذلك».

ـ لأنك إن لم تفعل سيلقي بي الحارس خارج الفندق.

تابع نظراتها إلى الممر، ثم قال ضاحكاً: «أعطني سبباً آخر».

ـ تعرضت للسلب.

تبددت السخرية من وجهه وشتم بصوت خافت، ثم جذبها من ذراعها إلى الداخل وصفق الباب خلفها: «ما الذي حدث؟».

ـ هل يمكنك أن تعطيني منشفة؟ كل ثيابي مبتلة.

ارتفع الطرق على الباب فأشار لها إلى الحمام: «ادخلي واغتسلي. هناك مئزر معلق. وسأهتم أنا برجل الأمن».

لم تضيّع إيما وقتها، فدخلت الحمام وأقفلته خلفها ثم وضعت أذنها عليه تصغي. سمعت حديثاً منخفضاً لم تفهم كلمة منه. ولكن بدا أن كلام غراي مع الرجل أرضاه، إذ سمعت صوت الباب يُغلق من جديد.

ـ أبعدي أذنك عن الباب واغتسلي بينما أتصل بقسم الخدمات لأرى إن كان بإمكانهم إحضار ما تلبسينه.

تراجعت عن الباب. كان «غراي» يعرفها جيداً، وهذا جزء من المشكلة بينهما.

ـ يمكنك أن تتصل بالطابق الأسفل، لكنني لا أظن أنك ستجد محلاً مفتوحاً.

ـ سأهتم بالأمر.

كانت تعلم أنه سيفعل. ألم تتعلم من خبرتها الشخصية عدم تهاونه عندما يريد الحصول على ما يريد؟ استدارت لتفتح صنبور المياه ثم خلعت ثيابها على الأرض، فبدت كالتمثال الملوث بالأوحال. ستنظف كل شيء بعد الإستحمام. أما الآن، فالاستحمام وتجفيف جسمها هو



www.rewity.com

الأهم.

وقفت تحت الدوش حاملة معها الشامبو، ثم أخذت تفرك كل إنش من جسدها... ولكن غراي كان ينتظرها بفارغ الصبر دون شك. وهكذا، أرغمت نفسها على أن تقفل الصنبور، بعد أن جففت جسمها ومسحت أرض الحمام، جامعة ملابسها القذرة ثم لبست روب الحمام. وشعرت بضعف بالغ بعد كل الأحداث الأخيرة.

خرجت من الحمام فوجدت غراي ينتظرها، وقد سكب لها فنجاناً من الزهورات: «رتبت أمر إحضار بعض الملابس، وسيحضرونها قريباً مع الطعام. اشربي وأخبريني بما حدث».

لم تناقشه. كانت بحاجة ماسة إلى هذا الشراب الدافىء. سرت الحرارة في جسدها فكادت تختنق: «أنا اكره هذا الشراب».

- أعرف ذلك، لكن عليك شربه.

- أعلم ذلك.

- تكلمي يا إيما. ماذا حدث؟ عندما رأيتك آخر مرة كنت مصممة على الهرب من حفلة الاستقبال بأسرع ما يمكن ساقيك الجميلتين أن تحملانك.

فنظرت إليه ساخطة: «لم أكن هاربة ولم أكن أركض أيضاً. لم يكن لديّ غرفة أمضي الليل فيها، فخطر لي أن أمضي بعض الدقائق مع صديقة أثناء انتظاري الطائرة».

- أريد التفاصيل. ماذا حدث بعد أن تركت المطعم؟

- لم يكن لدينا، أنا وراين، وقتاً نشرب فيه القهوة. بعد أن صعدت هي إلى طائرتها، تعرضت أنا للسلب.

اختلست نظرة إليه. لو أنها لم تكن تعرفه جيداً لفاتتها ردة فعله. توترت عضلة في خده وأظلمت عيناه. وعدا ذلك تحكم في مشاعره بشكل ممتاز وعادت تقول: «فرّ اللص بحقيبة يدي».



- ولماذا لم تتصلي بي؟

- ليس لديّ رقم هاتفك.

- كان بإمكانك أن تحصلي على رقم هاتف الفندق من أي مكان لتطلبي منهم أن يصلوك بغرفتي.

وضعت الفنجان من يدها بعناية ثم واجهته بصراحة: «أنت تعلم لماذا لم أشأ أن أتصل بك. نحن لم نعد على علاقة».

توتر فكه: «وهل هذا يعني أنه لا يمكنك أن تطلبي مني العون حين تقعين في مشكلة؟».

- لا، لكن عليّ أن أحاول مواجهة مصاعب الحياة كلها بنفسي.

- ليست مجرد صعوبة في الحياة. إنها أمر جاد خطير. هل تضررت؟

اكتسحها بنظراته، وشعرت بأنه يحاول التحكم بنفسه وبأعصابه وهو يتفحص جسدها.

- أتحتاجين طبياً؟

- لا. لا أحتاج طبياً. لا أعاني سوى من رضوض هنا وهناك.

- كيف حدث ذلك؟

تكورت في مقعدها وقد تملكها الإرهاق الذي زاده الشراب قوة، ثم حاولت كبح تثاؤبها: «كنت واقفة في الصف لأعبر جهاز التفتيش، وإذا بذلك الشخص القذر يركض بجانبي».

- ماذا؟

- أعني أنه ركض نحوي وخطف حقيبة يدي غير أنني بقيت متمسكة بحقيبتي.

وحاولت أن تبتسم مازحة.

قال غراي كلمة احمر لها وجهها: «هل جرجرك على الأرض؟».

- مسافة قصيرة فقط ثم نجحت في تخليص ذراعي من الحقيبة قبل



www.rewity.com

أن يركلني.

ـ يركلك؟

لم يعجبه الجزء الأخير من كلامها. فتنحنحت: «ربما كان الذنب ذنبي أنا».

فشتم مرة أخرى: «ألم تلحقي به؟».

ـ بل لحقت به.

ـ تباً لذلك، يا إيما.

ودس يده في شعره. لا شك في أنه كان يفضل أن يضع يديه حول عنقها: «ما الذي فكرت فيه».

ـ كنت مجنونة، وأظنني لم أكن أفكر.

ـ لم تكوني...

ـ هاي! لمعلوماتك الخاصة، كنت سأمسك به لولا أن المطر كان ينهمر وأن حذائي لم يُصنع للركض وهكذا زلّت بي قدمي فوقعت في أقرب بركة وانكسر كعب حذائي. هرب اللص بنقودي وبطاقاتي المصرفية وتذكرة الطائرة. آه! وثوب العرس.

ساءها إدراكها المفاجيء بأنها فقدت الثوب فأخذت تغالب دموعها: «أوه، يا غراي، أخذ الثوب أيضاً فقد كان لا يزال مدسوساً في حقيبة يدي».

ـ وكأنك استعملته وشاحاً أحمر تهيجين به الثور.

ـ لم أكن أفكر في ذلك، ولكن هذا ممكن، كما أظن. نظراً لحالة ملابسي عندما سرت في المطار كان بإمكاني أن ألبس ذلك الثوب، على الأقل ما كانوا ليعتبرونني متشردة.

ـ ملابسك أقل اهتماماتي. لكنني آسف لخسارتك الثوب ذاك، فأنا أعلم قيمته عندك.

ـ شكراً.



ـ أكثر ما يهمني هو أنك أصبت بأذى.

فأسرعت تطمئنه: «أنا بخير».

فأشار إلى الرضوض والخدوش على ذراعيها وقدميها: «تسمين هذا خيراً».

أخفت ساقيها وحاولت أن تشدّ الكمين على ذراعيها لتغطيهما: «لا بأس... ربما في قولي القليل من المبالغة».

ـ القليل فقط؟

وأكملت: «أشفق عليّ أحد رجال الشرطة وأعطاني أجرة سيارة إلى هنا. لدي عنوانه في جيب بنطلوني، وأرجو ألا تكون الأمطار قد أتلفته، فأنا أريد أن أرسل إليه بطاقة شكر عندما أعيد اليه نقوده».

ـ بإمكاننا أن نقتفي أثره إذا لم تجدي العنوان. على الأقل، كنت متعقلة بما يكفي للحضور إلى هنا، رغم أنك لم تطلبي مني المساعدة، أليس كذلك؟

وتوتر فمه.

ـ فكرت أن من الحكمة أن أذهب إلى برايانت الأرملة.

ـ لماذا؟

وكان لهذه الكلمة الفظة تأثير الرصاصة.

* * *



www.rewity.com

## ٥ ـ الحقيقة المرة

من: غرايسن شاو.
إلى: المعتوه شادو. لجنة كيوبيد.

هذه المرة تجاوزت الحد. طلبت منك أن تجعلها تنام هنا الليلة، لكنك جعلتها تُسلب يا شادو؟ كان يمكن أن تصاب بأذى خطير وتُنقل إلى المستشفى. حاول ذلك الوغد أن يركلها عندما خطف حقيبة يدها! يفضّل أن تبقى بعيداً عن نظري، لأنني، إذا وضعت يديّ عليك، ستموت!

ملحوظة: «أريد أن تعود إليها حاجياتها. واحرص على أن يكون ثوب الوصيفة في حال جيدة وإلا سأضطر إلى قتلك في المرة التالية».
(غراي)

* * *

ـ أجيبي عن سؤالي يا إيما. لماذا ذهبت إلى برايانت الأرملة، عندما احتجت المساعدة، بدلاً من أن تأتي إليّ؟

حارت إيما بما تجيب، فالحقيقة ستجعلها ضعيفة للغاية. لكنها تعرف أن غراي لن يقبل بأقل من الحقيقة: «لقد أردت أن استدعيك».

ـ ولهذا طرقت باباً آخر؟

حاولت أن تبتسم ساخرة من نفسها فلم تستطع، خصوصاً وهي



على وشك البكاء. لم تجرؤ على ذلك وإلا فالأمر لن ينتهي قبل ساعات: «ليس لديك فكرة عن مدى رغبتي في استدعائك».

أو مدى الرعب الذي شعرت به لإدراكها ذلك.

ـ ولماذا لم تستدعيني إذن؟

كيف توضح له الأسباب التي جعلتها تمتنع عن اللجوء إليه أثناء الأزمات؟ انفصالهما كان مدمراً، فهي ما زالت تتشوّق إليه. تتشوّق إلى ما كان بينهما، وما يمكن أن يكون فيما لو تغلبا على الاختلافات التي بينهما، إلا أنها لا تستطيع أن تثق به، خصوصاً بعد الآن. كيف تنشأ علاقة ناجحة دون ثقة؟ لكن السبب الرئيسي الذي منعها من الاتصال به هو الخوف. كانت خائفة من أن تسمح له بالعودة إلى حياتها خشية أن تتأذى مرة أخرى.

ـ من السهل أن أزورك، أن ألجأ إلى ذراعيك لتهتم بمشاكل حياتي الصغيرة.

حاول أن يعترض فرفعت يدها لتسكته: «أو مشاكل الحياة الكبرى. وأرى أن حادثة سلبي مشكلة كبرى».

ـ أنت على صواب تماماً.

ـ المسألة هي أنني لا أستطيع الاستمرار في اتباع الطريق السهل، يا غراي.

ـ وهل أنا الطريق السهل؟

أومأت بالإيجاب. ربما لا يعجبه جوابها، لكنه الواقع: «بعد أن انفصلنا أدركت كم اعتمدت عليك».

ـ أنت لست وحدك في ذلك، فنحن نعتمد على بعضنا البعض.

أدهشها قوله: «أحقاً؟ ما كنت لأتكهن بذلك».

ـ لماذا؟

راح يذرع غرفة الجلوس، وعندما وصل إلى نهايتها، عاد



www.rewity.com

ليواجهها: «لأنني رجل؟ والرجال لا يحتاجون أي شخص أو أي شيء؟ أم أنني فقط من ترين فيه هذه المزايا؟».

لن يعجبه جوابها: «أنت، فقط».

أصابه اعترافها بصدمة. ولكنه كعادته امتص الصدمة دون أن يجفل، بينما تكورت هي في كرسيها من الألم: «أدركت أنني إذا أردت أن أنجح في حياتي، عليّ أن أعالج أموري بنفسي، وألا أعتمد عليك في مساعدتي على الخروج من كل مأزق أجد نفسي فيه. فاللجوء إليك هو عادة سيئة».

ـ لأنك بارعة فقط في الوقوع في المشاكل، وأنا بارع في إخراجك منها؟

ـ ألا تظن الوقت قد حان لأتعلم الخروج من المشاكل بنفسي؟

كلمات بديعة ومع ذلك، ها هي تتصبب عرقاً مرة أخرى، وها هو غراي يهتم بمشاكلها، كعادته دوماً.

ـ هذا من مزايا عملي. أظنه كان جزءاً مني مدة ثلاثين عاماً.

فهزت رأسها: «ليس بعد الآن. أنا تغيّرت، وشكراً لك. أنت شوكولا، هل نسيت؟ وأنا لم أعد آكل الشوكولا».

بدت على وجهه ابتسامة باردة: «ظننتني حلوى».

ـ وهذا أيضاً.

ـ حسناً قررت أنك إذا أكلت ما يكفي ستصبح لديك مناعة. ما رأيك؟

كبحت ضحكتها. لم تكن تريد أن تحيي المشاعر القديمة التي يثيرها فيها.

لم تكن تريد أن تشاركه النكات الخاصة بهما، أو أن تقع فريسة الجنون لمجرد نظرة أو همسة منه. لقد انتهت تلك اللحظات، وهي لا تجرؤ على بعثها... ولكن إذا فقدت هذا النوع من الحب الذي لا يأتي



سوى مرة في الحياة، سيقتلها الأمر. أما أن تعاني منه مرة أخرى فسينهي ذلك حياتها.

لقد حان الوقت لانسحاب منظّم.

فقالت: «التجربة جيدة. لكن تلك الخطة لن تنجح اكثر مما نجحت خططك الأخرى».

ـ خطة؟

لم تتراجع بسبب استيائه بل سمرته بنظرة ثابتة: «أنت تعرف الكلمة، يا غراي، وأظنك من وضعها في القاموس. فأنت لا تتحرك دون خطة مسبقة».

فتوتر فمه: «لقد عدنا لهذا، أليس كذلك؟».

ـ واجه الحقائق. كنت عديم الرحمة عندما كنت ولداً، والآن ازدادت هذه الصفة لديك. أنت تفعل كل شيء لتحصل على هدفك. والآن، يبدو أنك تريد أن تجعلني مجنونة.

قالت ذلك عابسة فبدت الضحكة في عينيه بالرغم من جدية حديثهما: «هل نجحت؟».

ـ نجحت للغاية.

ـ لطالما كنت تعلمين أي نوع من الرجال أنا أو لعله ينبغي لك ذلك.

ـ طبعاً أعرفك. أتوقع أن توجه رصاصك ضدي، أو ضد جدي أو أصدقائنا، وجيراننا، لا أستطيع أن أصدق أنك لا تفهم هذا.

ـ بل أفهم.

استطاعت التحكم بالإحباط الذي تعاني منه بصعوبة: «لماذا سرقت عمل جدي تي منه؟».

تخلل شعره بأصابعه. وأدركت فجأة أنه يوازيها إرهاقاً. فقد كان نهارهما متعباً طويلاً، ولم يكن يبدو أنه سينتهي.



www.rewity.com

- أخبرتني أنك قلقة بشأن شركة جدك تي وأن عمله يتراجع بشكل مؤلم. وعندما دققت في الأمر، اكتشفت أنك على صواب.

- ولكن لم يكن مفروضاً فيك أن تكون الشخص الذي يأخذها منه. ألم يفهم بعد؟

- هل كنت تفضلين أن يأخذها منه شخص غريب؟

وجاء جوابها سريعاً غاضباً: «على الأقل، لن أشعر بأن الأمر شخصي إلى هذا الحد. سيبدو الأمر شؤوناً عملية».

- وكان كذلك فعلاً.

- هذا قول أبيك.

جمد مكانه، فأدركت أنها ارتكبت خطأ فادحاً بحقه فيما أعلن بنعومة بالغة: «إياك أن تشبهيني بأبي».

فأسرعت تقول مراوغة: «أعرف أنك لست مثل أبيك».

- مطلقاً.

- ولكن طريقتك في معالجة المسألة...

- لم تكن تماثل ما قد يفعله أبي.

- على الأقل كان سيفعله بظرف.

- هل هذا ما تريدينه؟ الظرف؟ هل تريدينني أن أخبرك كم أنت جميلة؟ هل عليّ أن أتملقك وأمدحك لكي أصل إلى مبتغاي؟ ألا تعرفين ما يأتي بعد ذلك؟ لقد رأيت ذلك يحدث مراراً. سأدير ظهري ومعي كل ما وصلت يداي إليه.

- لن تدير ظهرك.

- عليك إذن أن تتذكري جيداً. أتظنينني عديم الرحمة؟ حبيبتي، يمكنك أن تأخذي دروساً من أبي. إنه يجمّل دروسه تلك بكلمات منقمّة وحديث عن الجميل الذي يسديه إليك ويسلبك كل ما تملكينه. لكن هذا لا يغير حقيقته. أبي رجل غشاش ولطالما كان كذلك وسيبقى



كذلك.

لم تستطع إيما أن تتصور كيف يمكنه أن يتهم أباه، فحاولت تهدئته: «لا أحد يمكنه أن يتهمك أبداً باستعمال وسائل أبيك للحصول على ما تريد».

- بل يبدو لي أنه بالضبط ما تفعلينه.

لم تغفل عن الألم العميق في صوته: «هناك فرق.. فرق كبير. عندما جئت أطلب حبك، رأيتني قادماً. وجعلتك تعلمين ما أريده».

- لا تمزح. لقد عملت عندك، هل نسيت؟ وتعرفت عن قرب إليك. نحن لا نتحدث عن النتيجة، ولا نناقشها. كما أننا حتماً، لا نسعى إلى صلح أو حل وسط.

- نتحدث ونناقش؟

وجمدت أساريره. ثم صب لنفسه فنجاناً آخر من الشراب الساخن، قبل أن يسألها: «ألا تعنين الإحتيال والغش؟».

احتيال؟ غش؟ كيف عرفته طوال تلك السنوات دون أن تجعل بينهما روابط؟ تركت كرسيها وسارت إليه غير مصدقة: «أتظن أن النقاش أشبه بالإحتيال على شخص؟».

- أنا لن أحاول أن أقنعك برأيي، لكي أحصل على ما أريد.

- لأنه يشبه الاحتيال على شخص ما؟

فقال غاضباً: «كم مرة عليّ أن أكرر لك أني لست مثل أبي لأقدم معسول الكلام».

فقالت بجفاء: «هذا ما لاحظته وهو لا يغير من الأمر شيئاً بالنسبة إليك. هذا الموقف المتصلب يمنع التفاهم والوصول إلى حل وسط. لأن التوّصل إليه لن يتم عبر الاحتيال على الشخص، وإنما عبر إيجاد حل يوافق عليه الفريقان».

- أنا أفهم الحل الوسط.



www.rewity.com

ـ أحقاً؟ منذ عرفتك وكل ما تريده هو المطلوب ولا شيء غيره. أبوك يستعمل الظرف والاحتيال ليحصل على ما يريد. أما أنت فتكتسح المكان وتأخذه، هكذا ببساطة. مع أبيك، على الأقل، أترك المكان والابتسامة على فمي.

أبعد الفنجان بعصبية معبّراً عن استيائه: «لأنك لا ترين الدمار الذي يخلّفه وراءه. وربما كنت أصغر من أن تتذكري ما حدث لأسرة بوتنام. لا أظنهم كانوا يبتسمون عندما خسروا مزرعتهم بفضل والدي العزيز الذي أصبح غنياً بسرعة بعدهم».

ـ وأنت أصلحت الأمر، أليس كذلك؟ أتذكر قول جدي إنك تدخّلت ومنعتهم من أن يفقدوا كل شيء.

ـ بعض الأشياء لا يمكن إصلاحها. المزرعة ذهبت رغم جهودي في إنقاذها. أنا واثق من أنّ آل بوتنام يمقتون كل من يُدعى شاو، وأنا لا ألومهم.

فهزت رأسها: «لكنك حاولت. لا أفهم يا غراي، فعلت كل ما في وسعك لتساعد أسرة بوتنام. كيف يمكن لرجل مثلك أن يُذلّ واحداً من أقدم أصدقائه؟».

بدا الجمود في عينيه الزرقاوين: «أهو تفسير جدك تي لما حدث؟».

ـ تعلم أن جدي يدافع عنك حتى الموت. التمس لك الأعذار لما فعلته لكنك الآن صاحب أحذية بالمر. بينما جدي، لم يعد يملك عملاً. والأسوأ من ذلك أنني أنا التي وضعته في قبضتك.

وأشاحت بوجهها عنه مضيفة: «لم يخطر ببالي قط أنك ستستغل ما أخبرتك به سراً».

واستدارت تواجهه مرة أخرى وهي تغالب دموعها: «في لحظة ضعف، أفضيت إليك بذلك السر فاستغليت أنت ثقتي. لِمَ يختلف هذا



عما فعله أبوك؟».

ـ تباً لذلك يا إيما. لم آخذ ما كنت أريده ثم تسللت هارباً بعد ذلك. أنت من تركني. هل نسيت؟

ـ وكيف أبقى معك بعد أن استغليتني لتضع يدك على مصنع جدي؟

ـ سأشرح لك الأمر مرة واحدة فقط. جدك ترك شركة أحذية بالمر فقط لأنه لم يوافق على التغيير الذي خططت له، التغيير الذي سيغير في النهاية سير العمل. وفي نوبة غضب، غادر المصنع وحاول أن يدفع الآخرين إلى مظاهرة احتجاج. لحسن الحظ، انتصرت الحكمة فيهم قبل أن تخرج الأمور عن حدها، ولم يفقد أحد منهم وظيفته.

ـ ما عدا جدي.

ـ الشيء الوحيد الذي يبقي ذلك الرجل العجوز في قبره الفخم الذي يدعوه بيته، هو كبرياؤه الحمقاء. ونحن نرحب بعودته إلى المصنع حين يشاء.

ـ ولكن ليس إلى موقع المسؤولية.

ـ لا.

ـ هل تتوقع منه أن ينتقل من مركز المالك إلى مجرد عامل؟

فهز كتفيه: «شخصياً أنا لا أهتم لذلك، فهذا خياره. لكنه لم يكن ليبقى صاحب المصنع مدة طويلة. لو أنني لم أتدخل لسار نحو الإفلاس بخطى سريعة».

ـ وأنت أنقذته.

لم يرد على تهكمها. لم يكن بحاجة إلى ذلك. لأن إيما كانت تعرفه منذ وقت طويل، بحيث تدرك الحقيقة عندما تراها.

ونظرت إليه بذعر: «هل كان الأمر سيئاً حقاً إلى ذلك الحد؟».

أخبرها بالأمر على طريقته الخاصة... الفظة، غير المنمّقة، والصريحة بشكل مؤلم: «بل كان أسوأ».



www.rewity.com

- يا إله السموات!

- كانت ردة فعلي أقوى.

مضت دقيقة قبل أن تستعيد إيما سيطرتها على أعصابها: «هذا لا يغيّر حقيقة أنك خنت ثقتي».

- وأنت لن تصفحي عني أبداً لذلك.

كانت تريد أن تصفح عنه. ولكن هناك المبادىء التي لا تستطيع نسيانها: «لا أستطيع».

- جيد، لا تصفحي عني إذن.

وانتصب مبتعداً، والعزم في نظراته: «هنالك شيء واحد فقط أريده منك».

فهمست: «وما هو؟».

- تكهني.

بللت شفتيها. لم يأخذ التكهن منها مدة طويلة، فأحكمت الحزام حولها. عليها أن تجد طريقة لتصده، وتنجو بنفسها من مشاعرها الغادرة، فقالت محذرة: «لا تحاول شيئاً. فالخادم في طريقه حاملاً طلباتنا».

- أنا لست جائعاً للطعام.

- غريب لكنك تبدو كذلك.

- جائعاً ولكن ليس للطعام. هناك فرق.

- آه.

لم تكن بحاجة إلى ذكاء بالغ لتدرك هوية الفريسة المدرجة على قائمته. فانفجرت تقول: «أنا مسرورة لقدرتك على التحكم في نزواتك. فأنت لست من الذين يدعون المشاعر والنزوات تتحكم بتصرفاتهم. وإلا لتملكني القلق».

- عليك أن تبدأي بالقلق.



رفعت يديها وتراجعت إلى الخلف: «لا أظنك تريد أن تفعل شيئاً تندم عليه».

ووجدت نفسها بين ذراعيه، يضمها إليه بسهولة بالغة وكأنها لم تكن منذ لحظات تدّعي الشجاعة والتعقّل. قال لها: «لم تكوني ماهرة في الاحتكام إلى المنطق. حتى أنك لا تستطيعين أبداً أن تجادلي لكي تتخلّصي من عناقي. لماذا برأيك؟».

- لأنني، في أعماقي، ما زلت أكن لك المشاعر.

أدهشه اعترافها، كما دهشت هي أيضاً فقالت: «لكن هذا لا يعني أنني سأبقى».

- أنا متعب جداً يا إيما.

همس بهذه الكلمات وأنفاسه تلفح وجنتيها وصدغيها: «لقد أتعبتني الوحدة. أتعبني القتال كما أضناني انتظار زوال غضبك».

- إذن، ما كان لك أن تسلب جدي عمله.

- سيطرتي على المصنع لم تضرّ بأحد. وهو ليس سبباً قوياً لتنهي علاقتنا.

- ألا تفهم؟ لا اعترض على توليك رئاسة الشركة، بل طريقتك في التوصّل إلى ذلك. لا يمكنني البقاء مع رجل لا يمكنني الوثوق به.

مدّ يده يلامس شعرها: «بل يمكنك أن تثقي بي. لطالما كنت قادرة على ذلك».

- ربما من قبل، ولكن ليس الآن.

وغطت يده بيديها لتبعدها عن شعرها.

- لأنك تظنينني خنت ثقتك بي؟

- بل خنتني أنا.

- أنا لم أخنك وإنما حاولت أن أمثل دور الفارس المنقذ وأن أنقذ بلدتك الغالية. أنت الوحيدة التي لم تدرك الأمر.. وبدلاً من ذلك،



www.rewity.com

أصبحت أنا الوغد والنذل. لمَ حدث ذلك يا إيما؟

وكان الألم في صوته، فقالت: «أنت تعرف كيف حدث ذلك، فقد تابعت كل خطوة».

أنهى غراي هذا النقاش بعناق مباغت وأخذت هي تدفعه عنها. لكن عقلها فشل في السيطرة على جسدها، وبدلاً من أن تدفعه عنها أحاطت عنقه بذراعيها.

هذا ليس عدلاً، كل ما عليه أن يفعل هو معانقتها لتفقد ما لديها من تعقّل. كانت تعلم أنهما غير متلائمين من كل النواحي. فغراي يضع العمل دوماً فوق كل اعتبار ويبني قراراته على المنطق حيث لا دخل للمشاعر بشيء.

لكنها لم تخلق لذلك لأن قراراتها مؤسسة على الغريزة. وهي الآن تشعر بأنها مشتاقة جداً لغراي. لقد افتقدته.. واشتاقت إليه أكثر مما كانت تظنه ممكناً. حتى عندما بلغ بها الألم أشده لغدره بها، لم يمت شعورها نحوه. لم يمت تماماً.

يجب أن تضع حداً لهذا العناق، يجب أن تمنعه قبل أن تندم، لكنها أحست بإرادتها مخدّرة، عاجزة عن اتخاذ القرار المناسب.

ترددها جعله ينتهز الفرصة ليضمها إليه أكثر.. وقال: «أنت رائعة الجمال، لقد خُلقنا لبعضنا البعض يا أيما».

إنها تعشق هذا الرجل. كيف حاولت أن تقنع نفسها بالعكس؟ لقد أحبت غراي منذ كانت فتاة حمقاء، ترى الحياة كلها عبارة عن كوخ في شجرة وسباحة في نهر ناعت كريك. لقد وقعت في الغرام في سن المراهقة، وعادت ووقعت في غرامه مرة أخرى عندما كبرت وأصبحت تدرك أن الحب ليس مجرد غزل بل قواسم مشتركة واتحاد العقل والقلب.

تركها غراي كان أصعب قرار اتخذته في حياتها. وهي الآن لا



تستطيع أن تتذكر لماذا كانت حمقاء وعديمة الرحمة. لا بد أن السبب يتعلق بعدم رحمته هو. مهما كانت المشكلة، فقد توارت الآن... وغاب عقلها في بحر الأحاسيس التي أثارها فيها عناقه.

كانت متلهفة إلى عناقه وإلى حبه بكل عصب في جسدها، فلم يعد مهماً ما حدث وما فرّق بينهما. كل ما يهم الآن هو وجوده قربها وحبها له.

وفجأة، أبعدها عنه قليلاً وقال: «لديّ سؤال لك».

فتمتمت: «وأنا لدي حديث معك، أيضاً».

- كيف بإمكانك أن تتحدثي عن الفراق؟

- أنت تعرف شعوري، يا غراي، لكن الواقع يبقى مختلفاً، فما فعلته لا يغتفر بنظري.

- أنا لا أقبل بهذا التفسير.

لم تستطع منع نفسها من الابتسام لأنها تدرك طبعه.

- أنت طرحت السؤال وأنا أجبتك. ولا تحاول التحكّم بحياتي واصدار أوامرك لي.

أغمض عينيه وقد توتر فمه باضطراب: «تباً يا إيما، أنت تقودينني إلى الجنون عندما تتكلمين بهذا الشكل».

- لا أستطيع منع نفسي.

أحجم عن التعليق وساءها الأمر للغاية. لكنها لم تجد فائدة من إخباره بذلك.

ثم قال: «أنا لا أصدر لك الأوامر».

- بل تفعل فتلك الغطرسة متأصلة فيك. وأنت لا تعرف الحلول الوسط.

- لأنني أظن أن علاقتنا مهمة وهي أكثر من مجرد رغبة بين شخصين.



www.rewity.com

- إنها أخذ وعطاء، زائد وناقص...

- وجنون وتعقُّل... نعم، لقد فهمت.

تجاوزت قوله مراعية الضغط الذي يتعرّض إليه غراي: «لم أقل قط إن ما بيننا عادي».

لو انكرت ذلك لكانت كاذبة لذا أضافت: «لكن أسس علاقتنا غير متينة».

فتح فمه ليجيب وإذا بطرق خفيف على الباب. فقالت إيما: «لقد أنقذك طرق الباب. أظنها ملابسي».

حاولت أن تتخلّص من قبضته، لكنه منعها من الابتعاد: «لا تذهبي».

- إنها الثالثة صباحاً، ولن أتجاهل ذلك المسكين الذي تكبّد عناء إحضار الملابس والطعام.

علا الطرق على الباب فقالت: «دعني يا غراي».

فأصّر قائلاً بلهفة: «علاقتنا أكثر من مجرد رغبة».

فنظرت إليه بأسف: «وما هي إذن؟ الحب؟ لا أظن ذلك».

شعرت بتوتره يزداد، وكذلك بعضلات كتفيه وذراعيه وهو يقاوم محاولاتها للإفلات من ذراعيه: «لمَ لا؟ ألا يمكن أن يكون حباً؟».

عادت لتسترخي بين ذراعيه، وقد أراحها سؤاله: «في الحقيقة، لقد فكرت في هذا الأمر اليوم».

وضعت يدها على كتفيه العريضتين. لقد اشتاقت إليه أكثر مما ظنته ممكناً، وستظل تشتاق إليه حتى بعد أن يفترقا نهائياً.

- لقد ذكرت شيئاً هذا المساء جعلني أفهم المشكلة.

فقال: «عظيم. ما هو الشيء اللامع الذي قلته وأقنعك بذلك؟».

بات الطرق متواصلاً فيما تابعت هي تقول: «إنها الطريقة التي



تعادل بها بين التسوية والغش».

فسارع يقول: «أنا لم أقل قط إنهما الشيء نفسه».

- سواء اعترفت بذلك أم لا، أنا أظن أن المشكلة هي... أن الزواج يتضمن كثيراً من التسويات.

- كما يتضمن الحب أيضاً.

- هذا صحيح. لكنني لا أظن أن بإمكانك أن تثق بأيّ شخص إلى درجة أن تحبه.

فجمد مكانه: «عم تتحدثين؟».

ابتسمت بحزن وهي تتململ فتركها هذه المرة تذهب: «الأمر بسيط يا غراي. عندما اختلفنا لأول مرة وحاولت أنا تسوية الأمر، ظننت أنت أن حبي مجرد خدعة».

لم تنتظر جوابه فقد علت الطرقة على الباب وتبعتها ركلة، فأسرعت تفتح الباب: «آسفة لتأخري».

لم يكن السرور بادياً على الرجل كما أن اعتذارها لم يهدئه. كان يحمل صرة في يد، وصينية في الأخرى محمّلة بأطباق: «طلبت بعض الملابس ولم نجد مئزراً مناسباً لتحضره لك. علينا أن ننتظر حتى يفتح متجر الفندق أبوابه. هل شعرت بحاجة ماسة إلى جرّ نصف المستخدمين من فراشهم لكي يحلّوا مشكلتك؟».

تكلّم باشمئزاز، فأخذت منه الصرة وقالت مكابرة: «نعم، كنت في حاجة ماسة لذلك كي أستمتع بفعلتي هذه وحسب».

- كما طلبت بعض الأطباق الخفيفة.

وناولها الصينية المثقلة وهو يقول بابتسامة لئيمة بينما كانت تحاول أن تحمل الصرة والصينية معاً: «المطبخ مقفل الآن لكننا استيقظنا جميعاً لكي نعدّ لك هذا».

اسقطت الصرة من يدها إلى الأرض لكي تستطيع الإمساك بالصينية



www.rewity.com

بشكل متوازن وهي تبتسم بعذوبة مصطنعة: «أنا مسرورة من ذلك. شكراً للطعام، فأنا أكاد أموت جوعاً».

- لا يمكنك أن تكوني جائعة إلى ذلك الحد، وإلا لفتحت الباب قبل الآن بكثير. بقيت أدق الباب مدة عشر دقائق، واستغرب أنني لم أوقظ كل من في هذا الطابق.

إثباتاً لقوله، انفتح الباب المقابل. وحاولت إيما أن تصفق باب الغرفة قبل أن تراها صاحبة الغرفة المقابلة، لكنها لم تحسب لتصرف الرجل السريع حساباً، إذ وضع قدمه بين الباب والعتبة: «لا، ليس قبل أن تعطيني البقشيش يا سيدتي. والأفضل أن يكون كبيراً. لن أتزحزح قبل أن أقبض تعويضاً جيداً لإزعاجي. وعليك أن تعلمي أن التعويض يلزمه مبلغ جيد».

- ما هذه الضجة؟

سألت برايانت الأرملة وهي تنظر إلى إيما مرتدية المئزر القصير ثم إلى الصينية بين يديها. اتسعت عيناها: «آه، آه، رباه».

- ليس الأمر كما تظنين!

- لا. طبعاً لا، يا عزيزتي.

وارتسمت على وجه الأرملة ابتسامة خبيثة تماماً: «لا أدري إذا كان رئيس البلدية هونسبي مستيقظاً. ربما عليّ أن أتصل به بسرعة».

ثم صفقت بابها.

* * *



## ٦ - مسرحية ناجحة.. ولكن!

إلى السيد المزعج غرايسن شاو.
من: شادو. لجنة كيوبيد.

غراي،

لا تقتلني حتى أعرف ما جرى. سأحقق في الأمر شخصياً وأعود إليك. ولكن دعني أؤكد لك أننا لم نخطط لنسلب إيما. على الأقل أنا واثق من ذلك. لكن نظراً لعدد الناس الذين يعملون لإنجاح هذا الزواج، أظن كل شيء ممكناً، ويمكنني أن أخبرك بأن سلب عملائنا ليس المستوى الذي نسير عليه في نهجنا.

المنفذ شادو - لجنة كيوبيد

* * *

- ما زالت لا أفهم لماذا تريد أن توصلني إلى بيتي.

أعلنت إيما لغراي الذي كان يتجه بهما إلى بلدتهما «قرية بالمر».

تلقى غراي شكواها ببساطة فقد بقيت تتذمر منذ تركا سيائل، وكان هو يستمع إليها طوال الوقت. وأخيراً قال وهو يُشغل ممسحة الزجاج عندما أخذ المطر ينهمر: «أنت تعرفين السبب، فليس لديك مال ولا هوية أو حتى تذكرة طائرة. ما الذي كنت ستفعلينه؟ تستجدين من



www.rewity.com

المارة؟».

ـ بإمكان جدي أن يرسل إليّ ما أحتاجه.

ـ هل أردت أن تكبديه هذه المشقة وهو على فراش الموت؟

كان قد وصل إلى طرف البلدة الشمالي، فتحوّل إلى الطريق الطويل المؤدي إلى منزل تي بالمر وهو يتابع: «أليس كذلك؟ على فراش الموت؟».

تململت في مكانها: «أليس كلامك مبالغاً فيه؟».

ركن السيارة أمام مدخل المنزل الفخم، ولم يدهش عندما قفزت إيما من السيارة حالما أطفأ المحرك. أسرعت راكضة تحت المطر ثم وقفت أمام عتبة الباب بينما تبعها هو متمهلاً وأدركها قبل أن تفتح الباب.

منعها من الهروب إلى داخل المنزل: «هل نسيت أحداً؟».

حمل هذا السؤال تحدياً، وشوقاً لم يخمد ناره عناقهما بالأمس. فرفعت ذقنها بعناد واندفعت إلى المنزل مغلقة الباب خلفها. بدا أنها لا تريده أن يدخل فتنهد بصمت. لقد نال جزاءه لتسهيله الأمور عليها. الأمور لن تكون سهلة مع إيما.

ثبت غراي قدمه على عتبة الباب وشبك ذراعيه على صدره، لينبئها أنه غير مستعد للرحيل. كان صدره مهيباً اعتاد معظم من يعرفه على التراجع أمامه. انتفضت كقطة مشاغبة ووقفت بجانبه: «أشكرك لمرافقتي حتى الباب. إنه لطف بالغ منك. وكذلك لإنقاذي من سيائل وإطعامي. كما أشكرك لإحضارك ما ألبسه، آه، ثم إعادتي إلى بيتي».

ـ أهلا بك، والآن بعد أن عبرت تماماً عن شكرك، ربما يُفترض بك دعوتي إلى الدخول وليس للوقوف في الخارج. هل ما زلت تفعلين كل شيء بالعكس؟

ـ أجل، ورأساً على عقب حسب ما يروق لي.



ورغم شجاعتها، بدا في عينيها القلق: «ولماذا تريد أن تدخل؟».

بان الغيظ في صوته: «ولمَ برأيك أريد ذلك؟ لكي أرى تي. والآن هل تدعينني أدخل، أم تريدين أن تبقي واقفة هنا لتتجادلي معي حتى تبللي تماماً؟».

ولم ينتظر جوابها، بل خلع معطفه ووضعه على كتفيها. غطاها معطفه الأسود من كتفيها إلى منتصف ساقيها. ولمعت عيناها سخطاً وهي تسأله: «لماذا تريد أن ترى جدي؟».

شعر بالتسلية وهو يراها تلتف بثنيات المعطف طلباً للدفء، فكان تصرفها متناقضاً مع سخطها.

ـ أتظنين أنه لا ينبغي عليّ زيارته بعد ما أخبرتني به عن تردّي صحته؟

فتمتمت: «أرجو ألا تفعل».

فهز رأسه: «تي هو صديقي، يا إيما، بالرغم من الإختلاف بيننا بشأن الشركة. وأنا لن أتجاهل تلك الصداقة فقط لأريحك».

ـ لم أتوقع ذلك.

ـ لماذا إذن لم تخبريني من قبل أنه مريض؟ ولماذا لم تخبريني أنه كان يسأل عني؟ كان عليك أن تتصلي بي منذ أسابيع، يا إيما.

كلامه أثار فيها الشعور بالذنب فاحمر وجهها: «كيف علمت أنه سأل عنك؟».

ـ كيف تظنينني عرفت؟ اتصل بي وأخبرني. أنت ذكرت لي قبل العرس أنه مريض. ما الذي لم تخبريني به؟

ـ لا شيء خطير.

وكانت هذه كذبة بالغة، لكنها تابعتها بإصرار: «سرعان ما سيترك سريره ويضرب الأرض بعصاه. وأنا بحاجة فقط إلى إلقاء نظرة سريعة على سجله الطبي لكي أتأكد...».



www.rewity.com

اقترب غراي منها وأمسك بذقنها ليرفع وجهها نحوه.

حملت الريح الشمالية شذا شجر الأرز، مهددة بالمطر، فشعث شعر إيما البني، ناثرة قطرات المطر عليه. أتراه كان مخطئاً بالنسبة لتي وصحته؟ كان واثقاً من أن استياء العجوز يعود إلى مصنع بالمر، ولكن الأمر لا يبدو مجرد استياء، بل هو أمر خطير.

- أريد الحقيقة يا إيما. إلى أي حد هو مريض؟

كان سؤالاً حاسماً، لكنه لم يستطع إخفاء هذه اللهجة في صوته. كان قلقاً على صحة تي.

أطلقت إيما زفرة طويلة: «أنت تعرف تي. فهو لا يريد أن يتبع نصائح طبيبه».

- أوضحي بدقة.

ثم اندفعت الحقيقة من بين شفتيها: «أصابته نوبة قلبية قبل عرس تايس بأسابيع قليلة. ورغم أن نتائج الفحوصات لم تكن جازمة، إلا أنه في كل مرة تصيبه هذه النوبة كانت صحته تتحسن...».

- ولكن ليس هذه المرة.

فهزت رأسها وهي تغالب دموعها: «يلازم الفراش منذ أسبوعين».

- تي يلازم سريره طوعاً؟ لقد نسيت أن تذكري هذا يا إيما.

- أحقاً؟

وزادت من إحكام المعطف حولها.

- وهل نسيت أيضاً أن أذكر أن الدكتور كروسبي يرفض معالجة تي؟ وأنه لم يعد يريد أن يرى أحداً سوى محاميه؟

شتم غراي بصوت خافت: «نعم. لقد نسيت أيضاً أن تذكري هذه التفاصيل. هل هناك ما يجب أن أعرفه أيضاً؟».

هزت كتفيها. أوشكت حركتها أن تجعل المعطف ينزلق عن كتفيها. ولم يستطع غراي أن يمنع نفسه من مساعدتها لإعادة معطفه



على كتفيها. وقالت: «لا شيء يبقى على حاله فنحن لا نعلم ما قد يحدث بعد ساعة أو ساعتين».

- أخبريني عن محاميه.

- كان الأمر فظيعاً، يا غراي.

اختلط في صوتها القنوط والاضطراب: «يزوره ذلك العجوز كل يوم، وقد اقترح عليّ جدي مرة أن أتصل بك».

- اقترح؟

- حسناً، لا بأس. لقد أمرني.

فأخفى ابتسامة: «أرى أنك استجبت لاقتراحه».

- كما أستجيب دوماً لأوامره أو لأوامرك. ومع ذلك، كان عليّ أن اتصل بك، إلا أنني...

- دعيني أخمن. أنت لم تتصلي بي لأننا انفصلنا.

فلم تنكر الحقيقة: «نعم. لكنك هنا الآن».

وألقت عليه نظرة، كان معتاداً على هذا التعبير. ربما لأنه تعلم بالتجربة أنه نادراً ما كان يبشر بالخير. وتابعت: «والآن، ما دمت هنا، أقترح أن تفكر في خطة لمعالجة الموضوع».

لقد أُرغم على التورط بالقضية. وما عليه إلا أن يلوم نفسه. ونظر إلى أعلى نحو صف من النوافذ في الطابق الثاني من البيت. كانت غرفة «تي» فوقهما مباشرة وأدرك أن هناك من شاهد وصولهما، فقال: «لا بأس! إليك خطتي».

فابتسمت بإعجاب: «إنه عمل سريع».

- لم أغير فيها شيئاً منذ الصباح. سأفعل ما طلبه تي مني عندما اتصل بي.

استحال إعجابها إلى فضول: «هل اتصل تي بك؟ متى؟ ولماذا؟».

- يمكننا أن نتحدث عن الأمر في الداخل.



www.rewity.com

استدار حولها وفتح الباب: «لا بد أنهم أخبروه الآن بأنني هنا. ولهذا اقترح أن نذهب لرؤيته قبل أن يبدأ بالغليان».

فأصلحت له قوله: «أنت تعلم كم يكره أن ينتقده أحد، ولكنك تفعل هذا عمداً لتثير إزعاجه».

ـ هذا ما أنا عليه... مثير للإزعاج.

واتجه نحو المنزل، فتبعته إيما دون احتجاج وسمحت لنفسها بالامتثال لأمره بالدخول. وإذا بضجيج يأتي من أعلى.

فقال: «أظن أنها إشارة لتذهب إلى تي».

رفع غراي معطفه عن كتفيها وعلقه على المشجب وراء الباب. فعبقت من ثناياه نفحة خفيفة من عطر أنثوي. وتملكه السخط وهو يتنشق هذه الرائحة الرقيقة، فابتعد على الفور والتفت ليواجه إغراء إيما نفسها. لطالما كانت تغريه ولا يبدو أنه سيتخلص منها قريباً. ألم تدرك ذلك؟

نظر إليها بهدوئه المعتاد: «هل أنت مستعدة؟».

ـ أخبرني أولاً عن اتصال جدي.

إذا كان معطفه واسعاً عليها، فقد كانت الملابس التي زودها بها الفندق أسوأ بكثير. الكنزة السوداء أغرقت جسمها الصغير، وفتحة العنق أظهرت كتفها، بينما تجاوز الكمّان أناملها. رفعت الكمين إلى مرفقيها ولكنهما انزلقا إلى أسفل.

ـ لقد اتصل قبل أن تتوجّه إلى المطار. وكنت أنت في الحمام.

سألته: «هل عرف بأنني معك؟».

ـ نعم، فقد دأبت برايانت الأرملة على نشر الخبر.

ـ هل كان مستاءً؟

ـ قال لي عد إلى البيت بسرعة.

ـ يا إلهي!



ـ وكان جوابي بمثل مودته تلك. هل بقيَ شيء قبل أن نصعد إلى الأعلى؟

فأومأت: «ربما عليّ أن أنبهك إلى أنه قال إنه سيتصل بك ليطلب خدمة».

فقال غراي على الفور: «ليس هناك مشكلة».

فبدت عليها الحيرة: «ألا تريد أن تعرف أولاً ما هي تلك الخدمة؟».

ـ لست بحاجة إلى ذلك.

وهذا صحيح. فقد كان غراي مديناً لجدها بأكثر مما يستطيع رده، بالرغم من اختلافهما على المصنع. ففي الوقت الذي كانت حياته جهنماً حقيقية، فتح تي أبواب بيته له. كل دروس الحياة تعلمها من تي. ومع ذلك، لم يحب غراي مسألة هذه الخدمة الغامضة بقدر ما كره تلك الإجتماعات المطوّلة بين تي والمحامي. ولطالما كان تي بالمر يحتقر المحامين بقدر ما كان يكره طلب العون منهم إلا إذا كانت حاجته ماسة.

أشار غراي برأسه إلى السلم: «هيا بنا لننتهي من هذا الأمر».

وقبل أن يخطو خطوة واحدة، أمسكت إيما بذراعه: «انتظر».

ـ ماذا هناك؟

هاتان الكلمتان البسيطتان كانتا تحملان ألماً دفيناً. بللت شفتيها غافلة عن رد فعله. وترددت خلافاً لعادتها: «هل يعلم... عنا؟ أعني عما كان بيننا؟».

ـ أنا وتي صديقان، أليس كذلك؟

ـ والمعنى؟

لم يجب على الفور، فاشتدت قبضتها على ذراعه. أخذ يحدق إليها مطوّلاً غير قادر على منع نفسه من ذلك، ثم أمسك بها، ولامس



www.rewity.com

خدها ووضع خصلة من شعرها خلف أذنها. هل لديها فكرة عن مدى تحكُّمه بمشاعره؟ غير ممكن! وإلا لوضعت حواجز بينهما قدر إمكانها.

ـ لو أن تي يعلم ما كان بيننا لما طلب رؤيتي ولكان قطعني إرباً منذ وقت طويل.

لم تبتعد عن متناوله، بل مالت عليه وقد لاحت ابتسامة على جانبي فمها ففقد تحكمه بمشاعره ودس أصابعه في شعرها.

وقالت بإصرار: «أشك في أن يتمكّن جدي من أن يفسد الأمور فأنت أكثر من ندٍ له».

ـ سأكون كذلك لو أردت أن أحاربه.

ـ هل تريد أن تقول إنك لم تفعل ذلك؟

لامس وجنتها بإبهامه. ما كان عليه أن يخضع للإغراء بملامستها، لكنه لم يستطع الآن منع نفسه. كان يوماً شاقاً، وسيأخذ تعويضاً عن ذلك.

ـ أقول إنني أستحق أي عقاب ينزله بي.

بدت الصدمة في عينيها الذهبيتين: «لأنك خرجت معي؟».

ـ لأننا لم نتزوج ثم تركتك ترحلين.

فقطبت جبينها: «ما أتذكره هو أنه قرار مشترك».

ـ ما كان تي ليرى الأمر بهذا الشكل.

فتابعت كلامها وكأنه لم يقاطعها: «ما كنت لتستطيع منعي من الرحيل».

لم يعبأ بالإجابة. فلا يفيد ما يقوله في هذا الخصوص وأخذ يسوّي ياقة كنزتها: «تي ليس مريضاً صبوراً. من الأفضل أن نصعد إليه قبل أن يرسل جماعة للتفتيش عنا».

لم تنزحزح من مكانها: «لم يكن بإمكانك أن تمنعني من الرحيل.



الخيار كان لي».

فقال بأعصاب متماسكة: «هناك دوماً وسائل لمنع المرء من الرحيل. لكن خيارك كان أن تذهبي، واخترت أنا أن أدعك تذهبين. لذا أرى أن نترك الأمر عند هذا الحد».

لم يمنحها فرصة للجدل. أزاحها وأخذ يصعد السلم. لحقت به بعد تردد فأدركته عند قمة السلم تنبهه: «هذا الحديث لم ينته بعد».

استمر في الصعود: «لا أظن هذا».

وعندما اجتاز الردهة نحو غرفة تي عاد يقول: «حذار، يا إيما، من اقحام جدك في هذا الأمر».

بدا الألم على ملامحها المعبّرة: «ما كنت لأفعل هذا. خصوصاً لجدي. وسواء صدقتني أم لا، لن أفعل هذا لك أنت أيضاً».

لقد جرح كرامتها بقوله، وقبل أن يجيبها سُمع صوت من خلف الباب هادر كالرعد: «ما الذي يؤخركما عن الدخول! أدخلا».

رفع غراي حاجبيه متأملاً... غريب! إنه ليس صوت رجل يحتضر، دفع الباب وقد تملكه الفضول ليرى ما يحدث. ودخل إلى الغرفة الفسيحة. كانت الستائر مسدلة، والغرفة معتمة باستثناء ضوء خفيف يطرد الظلام. كانت امرأة ما تقف إلى النافذة، بينما جلس تي في سريره مستنداً إلى الوسائد. وكان الجوّ عابقاً برائحة دخان السيكار. كلمة (مثير للاهتمام) لا تصوّر الوضع الراهن، بل إن كلمة (مريب) كانت وصفاً أدق.

سأله غراي: «ما بك يا تي».

ـ ألم تخبرك حفيدتي؟

وسكت الرجل العجوز ليضفي تأثيراً مأساوياً: «أنا أحتضر».

فبادرته إيما: «لا تقل هذا...».

قطع تي بيده احتجاجها بفروغ صبر: «واجهي الواقع يا فتاة. أنا



www.rewity.com

راحل. لِمَ تظنين أن المحامي يزورني يومياً؟ أو لماذا سألت عن غراي؟».

فتدخل غراي: «لأنني مدين لك».

لمعت عينا تي السوداوان: «هذا صحيح. وأنا أنوي أن أرتب أموري قبل الرحيل».

ـ ما الذي تريده مني بالضبط؟

ـ ليس بالكثير.

وابتسم تي دون دعابة: «مجرد طلب الزواج».

فانفجرت إيما: «جدي».

ـ استريحي يا حبيبتي. سأعالج أنا الأمر.

ولوى غراي شفتيه: «لا بأس، يا تي، هل تتزوجني؟».

ـ ليس أنا يا غبيّ.

وطرق تي بعصاه أحد أعمدة السرير فاهتز السرير بأكمله: «ألا تكن احتراماً لرجل يموت؟».

تناهى صوت المرأة الواقفة بجانب النافذة وهي تتقدم من السرير: «خفف عنك، يا سيد بالمر. علينا ألا ننفعل».

كبح غراي ضحكة عالية وسألها بأدب: «من تكونين؟».

ـ أنا الممرضة جونز. وأنا هنا للعناية بالسيد بالمر.

وأخذت المرأة تقيس نبض تي.

ـ طبعاً، فثوب التمريض يدل على ذلك.

وقالت إيما بحدة: «ما الذي يجري، يا جدي؟».

ـ الأمر بسيط. أريد أن يطلب غراي الزواج منك. فأمنيتي الأخيرة هي أن أراكما متزوجين.

وشبك ذراعيه فوق صدره: «ها قد قلتها. والآن كل ما بقي لكما هو أن تقوما بالعمل».



وضع غراي إصبعاً تحت ذقن إيما وأطبق فكها فأغلقت فمها: «تهانيّ يا تي لقد أخرستها».

نقلت نظراتها بينهما صائحة: «هذا ليس مضحكاً!».

فقال تي متذمراً: «لم أخرسها مدة طويلة».

فقال غراي: «الأمر يلزمه تدريب. لكنه ممكن».

وقطب جبينه إزاء من كان يوماً صديقه ومستشاره: «ما الذي يحدث حقاً يا تي؟ لمَ كل هذا؟».

ـ أنا رجل عجوز على عتبة الموت. رجل يريد أن يرى حفيدته المسكينة متزوجة آمنة قبل أن يأخذه ملاك الموت إلى الهلاك.

فتدخلت الممرضة جونز قائلة: «بل إلى الراحة والسلام».

فأجفل تي: «لم أحسن قط الرقة والحذق في التعبير».

ردّت إيما بتمرد وهي تنظر إلى غراي: «أنا لن أتزوج غراي».

فقال: «هذا غريب. أنا لا أتذكر أنني طلبت يدك».

ـ ليس اليوم على الأقل.

قال تي وقد لوّح بعصاه آمراً: «هدوء! أنا جاد في هذا الأمر. أريدكما، أنتما الإثنين، أن تستقرا قبل أن أموت».

تقدمت إيما من السرير وجلست على حافته: «أنت لن تموت. أريدك أن تكفّ عن هذا القول».

وأمسكت يده المغضنة بين يديها.

ـ كل امرئ سيموت يوماً ما، فأنا لن أعيش إلى الأبد، يا إيما. وقبل أن أموت أريد أن أعلم أنك سعيدة مستقرة.

كان الصدق ينبعث من كلماته فهمست: «لماذا؟ لماذا أكون سعيدة مستقرة مع غراي؟ لماذا لا أكون سعيدة وحدي؟».

ـ أنت تعلمين جيداً السبب... لأنكما كنتما تعبثان من وراء ظهري.



www.rewity.com

ترك يدها وتقر خدها بإصبعه: «ينبغي أن تحمري خجلاً. لقد ربيتك أحسن من ذلك».

أخذت تتكلم بسرعة كما اعتادت وهي طفلة عندما كانوا يدركونها متلبسة: «إنه سوء تفاهم. أعطى الفندق غرفتي لنزيل آخر ولهذا كنت مع غراي شاو في سياتل».

ـ أنا لا أتحدث عما شاهدته برابانت الأرملة الليلة الماضية، بل أتحدث عن تلك الأشهر التي اشتغلت أثناءها عند غراي. كنت تخرجين معه حينذاك، أليس كذلك؟

بدت عليها الصدمة: «هل تعلم ذلك؟».

سدّد عصاه بوجه غراي وقال: «قد أكون عجوزاً، لكنني لست غبياً».

ـ لكن شيئاً لم يحدث بيننا.

بدا العناد على وجه تي: «لقد سرق عملي مني، لكنه لن يستطيع أن يلطخ سمعتك أيضاً».

بدا على ملامح إيما التعبير نفسه الذي علا ملامح جدها.

ـ أنا أقدّر اهتمامك. لكن الناس في هذه الأيام لا يتزوجون لمجرد تعرّض السمعة للشبهات.

ـ بل يفعلون ذلك في بلدتنا، وخصوصاً عندما تكون حفيدتي هي المقصودة بذلك.

والتفت إلى غراي: «هل ستنقذ سمعتها أم أنك تريد أن تجردها من ذلك أيضاً؟».

فأجاب على الفور: «يسعدني أن أتزوج إيما. ولكنها لا تريدني لسوء الحظ».

فتمتم تي: «هذا أول قرار حكيم تتخذه إيما».

شبكت إيما ذراعيها فوق صدرها، وكماها يتدليان من فوق



أصابعها: «إذا كان قراري حكيماً، لماذا تدفعني إذن إلى الزواج؟».

ـ لأن الناس يتحدثون، والأسوأ من ذلك، أنهم يراهنون. أنا لا أقبل يا إيما، لا أقبل بأن يتحدث عنك الناس.

ـ تزعجك أقاويل الناس. ولا يزعجك أن أتزوج رجلاً لا أثق به؟

تململت تي تحت الغطاء: «آه، يا فتاة، يمكنك أن تثقي بغراي».

ـ حتى بعد ما فعله بك؟

ـ ليس لك علاقة.

ـ بلى ما دمت أعطيته المعلومات التي يحتاجها ليأخذ مصنع بالمر. إنه أقسى رجل عرفته.

ـ في العمل فقط.

نظرت إلى غراي وكأنها تريد أن تقتله. إنه ليس قاسياً في العمل فقط، ولكنه كذلك في حياته الشخصية. فالطريقة التي كان يريد أن يكسب إيما بها أثبتت ذلك. وقطب هو جبينه وهو يتذكر الإتهامات التي قذفته بها في اليومين الماضيين.

ربما كان صعب المراس، لكنه لم يفكر في ذلك قبل الآن. طبعاً هو يميل إلى ملاحقة هدفه بعزم ولا يلين حتى ينجح. ولكن ما هي الطريقة البديلة لذلك؟ قبل ثمان وأربعين ساعة كان يعتبر أن هناك طريقة واحدة ولكنه، وهو يواجه نظرات إيما، تملكه شعور بضرورة البحث عن وسيلة أخرى.

قال تي يستحثها: «أرجوك يا إيما إفعلي هذا من أجلي».

بدا في عينيها شعور غريب، شعور جعل غراي يجفل. فتح فمه، لكنها سبقته بالكلام: «لا بأس يا جدي. إذا كان هذا ما تريده، فسأتزوج غراي».

ودون إضافة كلمة أخرى، وقفت وغادرت الغرفة.



www.rewity.com

شتم تي بصوت خافت: «حسناً، لا تقف هنا يا فتى. إذهب خلفها».

لم يستطع غراي أن يجعل ساقيه تتحركان. لماذا حدقت إليه بذلك الشكل وكأنه اقترف جريمة؟ ولماذا يشعر بكل عصب في جسده يؤلمه، في حين ينبغي عليه أن يشعر بالرضى البالغ؟

- ماذا تريد منها أكثر من ذلك. فقد قبلت أن تتزوجني، أليس كذلك؟

وردّ تي عليه باشمئزاز: «وهل صدقتها؟ لقد قالت نعم. لكن تلك النظرة في عينيها أنكرت ذلك. إذهب خلفها واقنعها بأن تبقى على وعدها».

- ماذا تقترح أن أفعل؟.

- وكيف أعرف؟ أنت هو الرجل. هددها، إخدعها، اركع على ركبتيك وتوسل إليها. لا يهمني ما تفعل، هيا تحرّك.

فقالت الممرضة جونز: «ربما ينبغي عليك أن تخبرها بشعورك نحوها، أم أنها مجرد إشاعة؟».

سار غراي إلى الباب: «حان الوقت لأعالج الأمر بنفسي من دون مساعدة. شكراً».

فجاء صوت تي كالقنبلة: «نعم. سينجح. أنظر إلى النجاح الذي حققته حتى الآن».

أغلق غراي الباب خلفه ووقف دقيقة متعمداً، ثم فتح الباب مرة أخرى وأطل برأسه إلى الداخل: «من الأفضل أن تخرج سيكارك من تحت الأغطية قبل أن تحرق السرير».

ونظر إلى الممرضة: «أديليد، تسرني رؤيتك دوماً. إنه تنكر جيد. وقد انطلى علي إيما».

ربتت على شعرها الرمادي المستعار: «إنها مهارة».



- تحياتي إلى توم وديك وهاري. وأبلغي توم أنني أريد قتله.

ثم أغلق الباب خلفه برفق.

* * *

أخرج تي سيكاره من تحت الأغطية، ثم نظر إلى أديليد وسألها حالما انغلق الباب مرة أخرى: «توم، وديك وهاري؟».

- إنهم أولادي. كان ديك مع غراي في الجامعة.

- يا إلهي!

وضرب عمود السرير بعصاه.

وعاد يقول: «إذن، فالفتى يعلم أنها مسرحية متعمّدة».

- أظن أن غراي خمّن ذلك فور دخوله. وكان بإمكان إيما أن تكتشف ذلك هي أيضاً لو أننا بقينا معاً في العرس مدة أطول. لحسن الحظ أنها كانت مشغولة بغراي أكثر منها بأم العريس.

فانفجر تي يقول: «لا يمكنني أن أصدق ذلك».

رفعت أديليد حاجبيها: «ما الذي لا تصدقه؟».

- أشعر بالذنب. أنا، توماس. ت. بالمر، الرجل الذي يبذل كل شيء لينال ما يريد، يصبح لديه ضمير؟ من كان ليظن ذلك؟ شيء مشين وفاضح.

- يمكن دوماً للمرء أن يشفى بمعجزة.

ترك سريره وسار إلى منضدة الزينة ليبحث عن ولاعته الذهبية: «إذا تركت إيما تفلت من الصنارة، فستهرب بسرعة البرق».

- إذن، إما عليك أن تعاني من وخز الضمير، وإما أن تستغل حفيدتك لترغمها على الزواج من رجل حياتها.

انفجر ضاحكاً: «هذا ما أحبه فيك يا أديليد. أنت امرأة فطنة وصاحبة عزيمة».

- نصلح إذن لنكون شريكين، أليس كذلك؟



www.rewity.com

ـ هذا صحيح. لا بأس، لقد انتصرت. والآن، بعد أن تأملت في الأمر، لا أستطيع أن أتصور ما حدث لي، لم أكن قط بمثل هذه الليونة.

ـ لا تقلق. أنا هنا لأحرص على ألا يحدث ذلك مرة أخرى.

وابتسمت بخبث: «أنا لا ألين أبداً».

* * *



## ٧ ـ ماذا يدور في رأسك؟

إلى: غراي شاو.

من: السيدة الرئيسة أديليد، من لجنة كيوبيد.

تحملت مسؤوليتي هذا اليوم، فيما يخص مسألة الزواج بين غرايسن شاو وإيما بالمر، ولن يكون هناك مزيد من التدخل من أي فريق خارجي، وإلا سينتهي الحب بسرعة. يمكن توجيه أي سؤال إليّ مباشرة وليس إلى أيّ شخص اخر.

* * *

أدرك غراي إيما عند قمة السلم، فقد بدت غريبة الشكل قبل قبولها الزواج. إنه ذلك النوع من جرح الكرامة الذي يصل إلى الأعماق، ما حرك شيئاً في داخله فأزعجه ذلك. تفحص أساريرها فشعر بالارتياح لرؤيتها أكثر اعتدالاً الآن.

قال: «نحن بحاجة إلى التفاهم».

ـ موافقة. لدينا مشكلة خطيرة وعلينا أن نناقشها.

وهبطت السلم لتواجهه. تنورتها السوداء المزدانة بأزهار حمراء كانت تتموج حول ساقيها.

ما الذي يربطها باللون الأحمر؟ لو لم يكن يعلم حقاً أن الفندق وهبها هذه التنورة، لأقسم أنها تعمّدت ارتداءها. تبعها إلى أن وصلت



www.rewity.com

إلى غرفة المكتبة. وعندما تخطت العتبة، استدارت نحوه واضعة يديها على وركيها: «حسناً، لقد وافقت على الزواج منك. والآن، ماذا تنوي أن تفعل بهذا الشأن؟».

فرد بسرعة: «أنوي أن أتزوجك».

كان السؤال سهلاً، لكن جوابه كان خطأ مميتاً.

ردّت عليه على الفور: «آه، لا. لقد وافقت على الزواج منك لأرضي جدي لكنه لن يحدث».

وتدخل منطقه كالعادة أثناء الأزمات. لطالما كانت تظنه قاسياً، ولكن الماضي لن يقارن بما هو آتٍ. فقال: «لِمَ لا نعود إلى الطابق الأعلى ونقول ذلك لجدك؟».

ـ لا داعي لذلك.

ـ وأنا أوافقك الرأي.

إذ أن الشجار بينهما ليس عملاً حكيماً.

بدا عليها العداء: «لقد أوقعتنا في مأزق. هل بإمكان عقلك المتفوق أن يخرجنا منه؟».

ـ بالتأكيد. لا مشكلة في ذلك.

لهجته جعلتها ترتاب بمشاعره الحقيقية، فحدقت فيه غير مصدقة: «أنت لن تفعل شيئاً، أليس كذلك؟».

ـ لا.

ـ لا أصدق!

وأخذت تتمشى: «ولماذا ستتزوجني ما دمنا مختلفين في كل شيء؟».

ـ أليس ذلك واضحاً. نحن الاثنان نريد ذلك، وأظنك في أعماقك تدركين هذا. لكنك غير مستعدة للاعتراف به.

ـ أنت مخطىء.



ـ أحقاً؟

واقترب منها فانعكس كل ما يعتقده ويشعر به نحوها في عينيه وصوته: «هل أنا مخطىء؟».

فرفعت يدها: «قف عندك».

ـ ما الذي حدث الآن؟

ـ أنت لن تستعمل...

وأشارت نحوه بكمها المتدلي مضيفة: «قدراتك كلها لتؤثر عليّ. إبق بعيداً حتى نستقر على أمر».

كبح ابتسامة. سواء أكانت ترغب في الاعتراف بذلك أم لا، فقد خُلقا لبعضهما البعض، بالرغم من أن عروسه المستقبلية تأخذ أطول طريق لكي تصل إلى تلك النتيجة. تراجع خطوة إلى الوراء: «هل أنا بعيد بما يكفي؟».

ـ لا. أين وصلت في حديثي؟

ـ أن أبقى بعيداً.

ـ وقبل ذلك؟

ـ كنت تقولين شيئاً عن أننا غير متلائمين تماماً.

ـ بالضبط!

وعبست في وجهه: «أنا مسرورة لأنك أدركت ذلك أنت أيضاً، فنحن لسنا متلائمين أبداً لأننا لا يمكن أن نتفق على شيء. هل تظن أن ذلك سيتغير مع الوقت؟ سنقع في مشكلة مع بعضنا البعض في خلال شهر. شهر؟ ما الذي أفكر فيه؟ بل يوم واحد».

نظر إلى الأزهار الحمراء على تنورتها، ثم رفع عينيه إلى البلوزة فلم تكن أحسن حالاً. فهي، بدلاً من أن يكون لونها مريحاً للنظر، كانت تنزلق عن كتفها، عارضة بشرتها الناعمة البيضاء. وراح يفكر في حلاوة عناقها، وقال: «بقينا معاً ستة أشهر ونجحت علاقتنا».



www.rewity.com

- إلى أن سرقت أعمال جدي.

فتنهد: «نعم. حتى ذلك الحين».

- ألا ترى؟ هذا هو الموضوع. كل شيء كان ممتازاً إلى أن تحولت إلى رجل قاسٍ. هل تظن أنه لن يحدث مرة أخرى؟ في المرة الثانية، لن أكون موجودة.

- أضمن لك أنك ستكونين حاضرة مرة أخرى، والآن. وستتعلمين كيف ستعالجين هذا الأمر أثناء زواجنا بنفس الطريقة التي ستعالجينه بها الآن. أنت لست عاجزة يا إيما، لطالما كنت قادرة تماماً على مواجهتي بجرأة.

توقفت عن السير، وسألته: «لماذا ينتابني شعور بأن هذا الجزء الأخير لن يعجبني؟».

- بل سيعجبك تماماً. فالمفاوضات مسلّية.

- المفاوضات. ليست تسوية إذن بل مفاوضات، فأنت لا تحب التسوية لأنها خداع كما أتذكر.

- كان ذلك تفسيرك أنت. أما أنا فلم أتخذ موقفاً جازماً بالنسبة إلى موضوع التسوية. هل ينبغي أن أعلمك عندما أتوصل إلى قرار؟

لم يعبأ بالرد. فلماذا يمنحها الفرصة لذلك؟

وعاد يقول: «ومن ناحية أخرى، أعتبر المفاوضات تدريباً عملياً هاماً بعيداً عن الخداع».

تجاوزت كلامه وسألته: «علام تتفاوض؟».

مال على مكتب تي وشبك ذراعيه على صدره، شاعراً براحة أكثر بعد أن تولى الأمور: «رغبتي في الزواج منك ليست سراً».

لوحت بيدها ناقية وأخذ كما الكنزة يرفرفان: «أدرك تماماً أنني مدرجة على قائمة أعمالك: سرقة عمل تي، إفساد عرس تايس، تدمير سمعة إيما، والزواج من المرأة المسكينة المحطمة».



ضحك بصوت خافت: «يا لها من قائمة».

تقدم إلى جانبها وجمع بيده القماش الزائد، وبأصابع خبيرة عقده فوق مرفقها: «المعلوماتك الخاصة إن زواجي من المرأة المسكينة المحطمة مدرج على رأس القائمة».

نظرت إلى كمبها معجبة بالرغم عنها: «يا لي من محظوظة. كيف تفعل هذا؟».

- تعلمته في الجامعة. إنها طريقة لاسترضاء الملتزمين القساة.

جعلها التلاعب بالألفاظ تضحك: «استرضاء؟».

- وسيسرك أن تعلمي أنني تفوّقت في ذلك.

شجعه نجاحه معها فأخذ يسوّي باقة الكنزة. لكن يبدو أن مهارته لم تساعده، فقد عادت وانزلقت من فوق الكتف فتركها هناك. شيء من العذاب يفيد الروح.

- ما رأيك في الجلوس للتباحث في بعض هذه الأساليب القاسية التي تعلمتها؟ هل تريدين أن تفتتحي أنت المفاوضات أم أقوم أنا بذلك؟

- أنت تمزح.

- ولا مقدار ذرة. تتهمينني بأنني لا أرى الأمور إلاّ بالأبيض والأسود. كيف أقنعك بأن تتزوجيني؟ ما هو اعتراضك؟

حدقت إليه والصدمة مرسومة في عينيها الذهبيتين: «لا أصدق أنك تسألني».

- أنت التي تعيّرينني بالقسوة. لماذا تدهشين حين أعيش طبيعتي؟

- لا يمكنك أن تقنعني بالزواج.

- سترين.

تلاشت الصدمة من عينيها: «إنس ذلك. أنا لست للبيع».

- وأنا لست شارياً.

علمته سنوات الخبرة كيف يركز اهتمامه على هدفه النهائي، بدلاً



www.rewity.com

من التساؤل عما سيخسره إذا فشل في التفاوض بشأن الإتفاقية. لكن لماذا ينتابه القلق من الفشل؟ وزمّ شفتيه، فقد كان يجازف بمستقبله كله: «لا بد أنك تريدين شيئاً لا يمكن أن يمنحك إياه أحد سواي. وسيقنعك بأن زواجنا سينجح».

همت بالإجابة ثم عادت فسكتت وكررت قوله: «ما لا يمكن أن يمنحني إياه سواك؟».

لم يجرؤ على الإعتقاد بأنه وجد نقطة ضعفها: «سمّي شيئاً».

جاهد في أن يعلن هذا العرض بصوت هادىء ثابت.

ـ ستفعل أي شيء أطلبه؟

ـ إذا كان في إمكاني.

أرجوك يا الله!

ـ أنت جاد أليس كذلك؟

ـ تماماً.

ـ هل أنت متلهف للزواج مني إلى هذا الحد؟

ـ إلى هذا الحد.

تشابكت عيونهما للحظات لا نهائية. لم يكن لديه فكرة عما رأت فيهما أو عما كانت تتمنى أن تراه. لكنه لم يتراجع أمام تلك النظرة بل بادلها إياها بشكل كامل.

وذهل وهي ترد باستلام: «لا بأس. هناك شيئان أريدهما منك».

تأملها بحذر، فقد ربح موافقتها بسهولة. إما أن يكون طلبها مستحيلاً أو أن لديها خطة أخرى لإنهاء خطوبتهما، وسيشكل هذان الطلبان عائقاً، فقال: «وإذا أعطيتك هذين الشيئين هل ستتزوجينني؟».

ـ نعم.

ـ سميهما، ولكن يجب أن يكونا في حدود قدرتي.

ـ نعم، إنهما في حدود قدرتك.



كان بإمكان غراي أن يقرأ بين السطور. كان قادراً... ولكنه فقط لن يحبهما. وتنهّد بصمت. مهما طلبت منه لا يهمّه، وسيقضيه لها. إنه سيفعل أي شيء لأجل إيما. ألا تعلم هي ذلك؟

سألها: «ما هو الأول؟».

ـ الأول هو إعادة جدي إلى رئاسة شركة أحذية بالمر.

ـ ستندمين على هذا الطلب.

ـ لا. لن أندم.

كان التعبير في عينيها مؤلماً للغاية. امتزج حبها لجدها بغضب بالغ من غراي: «تي طريح الفراش لأنك سرقت منه الشركة التي أسسها أبوه. إنه العمل الذي أوجد هذه البلدة. كما فقد اعتباره لدى أهل البلدة. وهذا، بالنسبة إلى رجل له كبرياء تي، أسوأ من الموت. لا عجب في أنه تخلى عن الحياة».

ـ إنه محتال.

التفتت إليه والغضب يتفجّر من عينيها، ثم صرخت به: «كيف تجرؤ على هذا الكلام؟ ذلك المسكين على شفير الموت بسببك».

كان غراي معتوهاً حين عالج قضية كميها فقد أصبح بإمكانها أن تلكزه في صدره لتثبت كلامها، وهو ما فعلته بقسوة مؤلمة.

ـ وعليك أن تصلح ذلك بأن ترد إليه شركة بالمر.

ـ حتى ولو كان ذلك على حساب الشركة؟ حتى ولو فقد ثلثا أهل البلدة أعمالهم؟

ـ هذا لن يحدث.

لن يفيده أن يشرح لها أن عودة تي بالمر إلى رئاسة الشركة ستؤدي إلى انهيارها. فالحقائق والأرقام لن تنتصر على المشاعر العمياء.

ـ والطلب الآخر؟

بدا على ملامحها شوق عنيف تبدد قبل أن يستجيب غراي له:



www.rewity.com

«سأتزوجك إذا استطعت أن تعلم ما أريده حقاً ثم تعطيني إياه».

نظر إليها بتبلد: «كرري هذا مرة أخرى».

ـ أنت سمعتني.

لقد سمع، لكنه لم يفهم فقال: «لا بأس. ما الذي تريدينه؟».

ـ لن أخبرك به بل عليك أنت أن تعرفه.

وشبكت يديها على صدرها إشارة إلى الوحدة والعزلة الموحشة. كانت تبقيه بعيداً عنها ولم يعجبه الأمر.

ـ إذا أعطيتني ما أريد، فسأتزوّجك.

لسبب ما، وجد صعوبة في التركيز على طلبها الأخير. فقال: «دعيني أفهم بوضوح. أنت تريدينني أن أتكهّن برغبة خفيّة في نفسك لأحققها».

وعاد إلى ملامحها ذلك الشوق بشكل أقوى. كان حنيناً إلى... إلى ماذا؟ وقالت: «أتمنى ألا تتكهّن بالأمر، كنت أفضّل لو أنك تفهم ما أريد».

إنه قريب جداً من النجاح. كل ما عليها أن تفعله هو أن تطلب منه أداء مهمتين... لم يهتم بمبلغ صعوبتهما... سيتغلب على العقبات ويواجه المخاطر لكي ينجزهما. ولكن... أمنية خفية؟ وقال: «كيف أعرف ما تريدين؟ أنا أعرفك، ولهذا أنا متأكد من أن هذا الشرط سيتغير بعد ساعة».

ـ لا.

حدّثه وجهها بأنها تعتبر الأمر جاداً. وعادت تتابع: «سأخبر الكاهن فرانكلين برغبتي الثانية، وبهذا تكون واثقاً من أنني لن أغيّرها للتهرب من اتفاقيتنا هذه».

حاول غراي جاهداً أن يعرف مبلغ تشوّش أفكارها فسألها: «متى يفترض بي أن أعطيك حلّ هذا الشرط الثاني؟ أثناء عقد الزواج؟».



فهزت رأسها: «ربما قبل ذلك. وبهذا لا تضيّع وقتاً في الإستعداد لزواج لن يتم».

فتجلّت له الحقيقة: «أنت لا تظنين أن بمقدوري أن أنكهن بما تريدينه، أليس كذلك؟».

لاحظ باهتمام أنها همست وشفتاها ترتجفان: «لا».

لم يعد هناك سوى طريقة واحدة لإقناعها، فجذبها إليه. لم تعارض هذه المرة. دس أصابعه في شعرها ورفع وجهها إليه فانتشرت خصلات شعرها على كتفيه. هذا النوع من الانطلاق جعله يعشقها إلى هذا الحد. ففيما هو يسترسل في التخطيط كانت هي تستوعب الحياة بأكملها، وبينما هو يرسم الأمور كانت هي تعانق الحياة وتنطلق معها. حياته محصورة بلونين، أسود وأبيض بينما هي فراشة تحمل على أجنحتها كل ألوان قوس القزح.

أحنى رأسه وعانقها، فطوّقت عنقه بذراعيها وهي تتأوه مستسلمة لمشاعرها. حدّثها بهذا العناق عن كل ما تعنيه له، بأنهما ينتميان لبعضهما البعض، كما هو حالهما دوماً، وأن لا شيء، حتى ولا أي رغبة خفية، ستفصل بينهما. ثم تركها مرغماً. وقال: «لا أعتبر أي شيء يتصل بخطوبتنا وعرسنا مضيعة للوقت هذا ما سيحدث وأنت ستستمتعين بكل دقيقة منه. عندما نصل إلى الكنيسة، سأعطيك أمنيتك الثانية. إنه عهد».

فقالت متعجبة: «كيف يمكنك أن تكون واثقاً إلى هذا الحد؟».

فقال بصدق تام: «لأنه لا يوجد من يعلم بما تريدينه، أكثر مني».

* * *

اندفع غراي إلى غرفة ثي: «ما الذي تريده إيما؟».

فأخرج هذا الأخير سيكاره من تحت الفراش، ورفع الملاءة إلى الضوء متأملاً الحرق المستدير الذي وجده: «أهذا أنت؟ ظننتك



www.rewity.com

حفيدتي. ولكن كان عليّ أن أكون أذكى من ذلك لأنها من الأدب بحيث تطرق الباب قبل الدخول».

- لم تجب على سؤالي، يا رجل. ما الذي تريده؟

- من؟ إيما؟

صك غراي أسنانه معاً، متمنياً لو ينطلق على سجيته فينفس عن غضبه.

- لا، أيها الصقر العجوز، بل الممرضة جونز.

فقال تي ونبرة التذمر في صوته: «وكيف أعرف ما تريده؟ هي لا تبدو ممرضة حقيقية. إنها في المطبخ تأكل شيئاً. إذهب إليها واسألها إذا كنت متلهفاً إلى معرفة ذلك».

- لو لم تكن في هذا السرير لضربتك.

ضحك تي بهدوء: «آه، لا تغضب فأنا أمزح. والآن، ما هي المشكلة؟».

- إيما هي مشكلتي. لطالما كانت كذلك.

فأومأ تي برأسه مكتئباً: «نعم، هي كذلك بالنسبة إلى الكثيرين».

وقف غراي عند النافذة ينظر إلى المروج الخضراء الفسيحة والمحاطة بالأزهار ثم قال: «لقد وافقت على الزواج مني».

قفز تي من سريره وارتجل رقصة سريعة مع عصاه، وقد أحاط دخان سيكاره برأسه كهالة قاتمة: «ها قد فعلتها؟ حقاً؟ كنت أعلم أن مشهد الموت سيؤثر عليها».

استدار غراي إليه ودس يديه في جيبيه: «لا تفرح. إن لديها شروطاً».

توقف عن الرقص فجأة: «ما هي الشروط؟».

- الأول هو أن تستعيد أنت مركزك كرئيس شركة بالمر.

فقال تي بابتسامة سمكة قرش: «آه، أليس هذا جميلاً؟ تدافع



الحفيدة الصغيرة عن جدها ضد القرصان؟».

- أتظن هذا جميلاً أم خطيراً؟

فقال تي: «لا تخف، أنا لا أريد العمل».

- حسناً، لا بد من ذلك شئت أم أبيت لأنه أحد شرطيّ إيما، وعليّ أن أنفذه. ثم ما الذي تعنيه بقولك إنك لا تريده؟ فلطالما كنت تواقاً لاستعادة عملك؟

- كبريائي هي التي كانت تسيّر تفكيري، حينذاك.

فتمتم غراي: «هناك ما هو أسوأ من ذلك. فمعظم الرجال لا يسيّر تفكيرهم الكبرياء بل شيء آخر».

فضحك تي: «أنت تتكلم عن خبرة يا فتى».

- لا يهم ما يسيّر أفكاري.

وسكت لحظة يرتب أفكاره. الآن وقد انفرد بتي حان الوقت لتسوية الأمور بينهما. فقال: «إيما تظن أن ما جعلك تحبس نفسك في هذه الغرفة هو أنني أخذت منك شركة بالمر».

- ربما غضبت منك لأخذك الشركة في البداية. لكنني، كلما فكرت في الأمر أكثر كلما توصلت إلى نتيجة هامة.

- وما هي؟

- كنت أسيراً لمفهوم خاطىء.

- كنت أتساءل متى سيخطر الأمر في بالك.

- عليك أن تلوم نفسك لعدم وصولي إلى هذه الحقيقة إلا بعد وقت طويل. أنت الدماغ المفكر هنا. كان عليك أن تشرح لي. لوفرت على نفسك كثيراً من العناء.

- لكنك لم تكن راغباً في الإصغاء إلى أي شيء، حينذاك.

- ربما كنت منفعلاً قليلاً.

لقد تبدد عداؤه. ولأول مرة طوال السنوات التي عرف غراي فيها



www.rewity.com

تي، لم يبدُ في سنه الحقيقية: «عندما أدركت أنني لم أعد مسؤولاً عن مصير شركة بالمر ارتحت من ضغط العمل بفضلك».

ـ العفو.

أثارت سخرية غراي ابتسامة تي: «حقاً أقدّر ما تحاول أن تقوم به. فقد بقي العمل يتراجع طيلة عقد من الزمن. والسنة الماضية أصبح الوضع انهياراً. لو أنك لم تتدخل، لكنا أشهرنا إفلاسنا...

ـ حاول إقناع إيما بذلك.

ـ مستحيل. أنا جالس في مكاني لا أتزحزح. فإذا ضاقت الأمور، يمكنني أن أشير إليك قائلاً إن الذنب ذنبك. وإذا تحسّنت أقول إنه مجرد حظ. وأسهمي التي أملكها في الشركة، تجعلني أضحك طوال طريقي إلى المصرف. فلماذا أضحي بكل ذلك لقاء عودتي إلى العمل؟

ـ لماذا؟ لأنها الطريقة الوحيدة التي تجعلني أتزوج إيما.

فعبس تي: «تباً».

ـ اسمع! عليك أن تواظب على العمل بضعة أشهر، لتخبرها بعد ذلك أنك مجهد وتريد أن تتقاعد.

ـ لن تستسيغ ذلك.

ـ أقنعها.

ـ حسناً، سأقنعها.

ونظر إلى غراي بابتسامة خبيثة: «لقد سبق وأقنعتها بأنني أموت، أليس كذلك؟».

ـ أنت فعلت ذلك بكل تأكيد. وجعلتها مريضة من القلق عليك.

ـ إذا كان هذا يعيدكما إلى بعضكما، فالأمر يستحق العناء. لا شيء نجح مما قلته أو فعلته حتى الآن.

وهز تي رأسه باشمئزاز: «فليحفظها الله، لكنها عنيدة للغاية».

رد غراي بجفاء: «لا أدري من أورثها هذا العناد. ولكن، إذا لم



تكن مستاءاً من قضية شركة بالمر، فلمَ أنت هنا إذن؟».

ـ الأمر بسيط. إنها أوامر أديليد.

بهت غراي. لماذا لم يخطر بباله الأمر من قبل؟ كان يظن أن أديليد تتظاهر بأنها ممرضته بناء على طلبه. يبدو أنه ليس الوحيد الذي ظهر أمام اللجنة.

ورفع تي حاجبيه: «أنت تعرفهم، أليس كذلك؟».

ـ يمكنك أن تقول ذلك.

ـ لا تخبرني أنك...

وأطلق ضحكة صاخبة: «أنت أيضاً ذهبت إليهم؟ أخبرتني أديليد بأنك صديق ابنها من الجامعة، لكنها لم تخبرني بأنك زبون آخر لهم».

ـ إذا نطقت بكلمة أمام إيما، ستصبح فعلاً على وشك الموت. ماذا حدث عندما ذهبت إلى هناك؟

ـ طلبوا مني أن أساعد في الأمر.

وبدا مزهواً بنفسه: «لم أكن أعلم أنني سأكون نافعاً إلى هذا الحد حتى قالت أديليد إنهم بحاجة إلى رجل ماكر فأدركت أنني الشخص المناسب تماماً لهذا العمل».

ـ هذه شخصية أديليد. ما الذي أرادتك أن تفعله؟

ـ ألا يمكنك أن تتكهّن؟ من المفروض أن أموت.

واستعمل عصاه وكأنه في نادي الغولف، فطارت فردة حذائه إلى آخر الغرفة واصطدمت بالجدار ثم سقطت في سلة المهملات.

ـ لماذا؟

وكأنه لم يكن يعلم. ورد عليه تي مكشراً: «فراش الموت له وقع كبير. لقد احتاجوا إلى ذلك ليقنعوا إيما بالزواج منك».

ـ ولم تحصل على فرصة لإقناعها، أليس كذلك؟

ـ لا. الناس الطيبون في هذه البلدة يريدون أن يروا ابنتهم المفضّلة



www.rewity.com

متزوجة من ابنهم المفضل.

ورأى عبوس غراي فسأله: «وماذا حدث الآن؟».

- بصرف النظر عن مسألة الخداع؟

- نعم، بصرف النظر عن ذلك.

- شرط إيما الثاني.

فقطب تي حاجبيه الأبيضين: «أنت لم تذكر الشرط الثاني».

- إنه بسيط. طلبت مني أن أمنحها ما تريده حقاً.

- وما هو؟

- رفضت أن تخبرني به.

حدق تي إليه بحيرة، وقد تدلى سيكاره من فمه: «كرر ما قلته».

- سمعتني جيداً. تريد مني شيئاً، لكنها لم تعترف لي ما هو، لذا عليّ أن أتكهن به.

- تتكهن؟

أخذ غراي يذرع أرض الغرفة: «هل أنا بحاجة إلى أن أخبرك بأنني غير بارع بالتكهّن؟ أفهم بالحقائق والتصورات والتحليل المنطقي. ولكن التكهن...».

وهز رأسه.

- والآن، اهدأ يا ولدي فهذه ليست مشكلة. يمكننا أن نحلها معاً. ألم تخبرها بعد بأنك تحبها؟

نظر غراي إليه بحيرة: «بالتأكيد على ما أظن».

ضحك تي بصوت خافت: «هراء. أنت لم تخبرها، أليس كذلك؟».

- حاولت ذلك فقالت إن الحب هو خداع أو شيء كهذا. وأنا أكره أن أخبرك أن حفيدتك معقدة. إنها تتحدث كثيراً، لكن آراءها ليست منطقية تماماً.



- لقد ورثت ذلك عن جدتها.

وأكمل تي شارحاً: «والآن، اسمع. يجب أن تخبرها أنك تحبها، وذلك في اللحظة المناسبة، وأضمن لك أنكما ستتزوجان خلال أسبوع».

- وإذا لم يكن هذا هو تفسير الشرط؟

- هممم....

وتوقف تي ليفكر في هذا الاحتمال غير المستحب. ثم صوّب إليه سيكاره المشتعل وقال: «ما لم تستطع أن تتكهن بما تريده إيما، فأنت ستخسرها حتماً».

* * *



www.rewity.com

## ٨ ـ السهل الممتنع

إلى: السيدة الرئيسة أديليد، لجنة كيوبيد.
من: توماس. ش. بالمر.

لقد قمت بدوري ونجحت حيث فشلتم، أنتم أعضاء لجنة كيوبيد، بإمكانكم جميعاً أن تشكروني لجعلي غراي وإيما يعقدان خطبتهما. حان الوقت لأن تتحركوا وبذلك نجعلهما زوجين. أنا أريد أحفاداً رائعين، وأريدهم أن يولدوا بعد الزواج بتسعة أشهر من دون تأخير والآن وداعاً!

(ت)

* * *

قالت إيما متذمرة: «لا أدري لما العجلة. نحن لم نعقد خطوبتنا إلا منذ... نحو ساعة؟».

ـ بل ساعتين.

ـ حسناً. منذ ساعتين.

فتح غراي باب الصالون فدخلت أمامه: «أمامنا وقت طويل لشراء ثوب العرس وما نحتاجه غير ذلك للعرس».

دس يده في جيبه يتفقد ما في داخلها: «الشيء الوحيد الذي لا



نملكه هو الوقت».

أقلقها عناده. إنها تعرف تلك النظرة منذ كانت تعمل لديه. كانت تبدو في عينيه كلما وقعتا على هدف. وعندما يجده، لا يتردد في الوصول إليه، ملاحقاً إياه بعزيمة لا ترحم.

ـ أنا لا أترك للحظ إمكانية. ولهذا سنتزوج خلال أسبوعين وهذا أمر نهائي.

وقفت جامدة: «خلال أسبوعين؟ هذا مستحيل».

ـ نعم، صعب. ولكنه ليس مستحيلاً.

دفعها بقوة إلى داخل المتجر.

ـ يستحيل إقامة عرس في تلك المدة القصيرة.

ـ سترين.

ـ لا أريد.

أزهار العرس، ثوب الزفاف، الكنيسة، بطاقات الدعوة وتايس وراين؟ هل ستتمكنان من الحضور؟

ـ أنا أفضّل خطوبة طويلة. ستة أشهر أو ما شابه ذلك..

ـ بل أسبوعان.

ونظر في أنحاء المتجر: «أين الجميع؟ المكان خالٍ».

ـ ألم تر اللوحة في الواجهة؟ لدى ماري لو مشوار قصير.

وعادت إيما إلى الموضوع نفسه: «بالنسبة إلى خطوبتنا، أنا جادة. أظن الخطبة الطويلة والإحتياط أفضل».

نظر إليها رافعاً حاجبه: «أتراك تريدين إطالة المدة لتجدي طريقة للخلاص من خطوبتنا؟».

ـ لا.

سار إلى الواجهة ليرى اللوحة: «تقول إنها ستعود بعد ربع ساعة. سنرتاح هنا حتى عودتها».



www.rewity.com

ـ غراي...

لم يترك لها فرصة للاعتراض: «إنسي ذلك يا حبيبتي. أنا لن أغير رأيي، ولن أناقش الموضوع. عندما وافقت على الزواج مني لم يكن لك سوى شرطين لا علاقة لهما بالخطوبة».

فقالت: «في هذه الحالة، أريد أن نتفاوض بشأن الشرط الثالث».

بدت التسلية في عينيه فتغيّرت زرقتهما: «أنا واثق من أنك تريدين ذلك. كلما استعجلنا الزواج كلما قصر الوقت أمامي للتكهن بشرطك الثاني».

لأمر ما، أتى قوله بنتيجة مضادة إذ بدلاً من أن تشعر بالإرتياح، شعرت ببرودة شاملة في كيانها. وعرفت السبب. لقد كانت تتجاهل الحقيقة منذ شهور. والآن تريد من غراي أن يحقق طلباتها؛ تريد ذلك بلهفة أكبر مما كانت تظنه ممكناً.

هناك سبب واحد فقط لشعورها... لأنها، في أعماقها، لا تزال تحبه وتريد الزواج منه. أغمضت عينيها. كيف حدث هذا؟ ظنت أنها نسيته. كان انتباه غراي مركزاً على الملابس المعلقة في المكان ففاتته ردة فعلها: «لِمَ لا أبدأ أنا من ناحية وأنت من الأخرى فنتقابل في الوسط؟ يمكننا أن نعتمد على ثوب قبل عودة ماري لو».

جاهدت إيما لتبدو هادئة وعفوية أيضاً: «لا تكن سخيفاً. طلبت ماري لو أن ترتاح، وهذا ما أنوي فعله».

ورأت صينية قهوة في زاوية الغرفة فتوجهت إليها: «هل تريد قهوة؟».

ـ بل أفضل العودة إلى العمل. هل نسيت أننا جئنا إلى هنا لاختيار ثوب الزفاف؟

ومدّ يده ينزل ثوباً عن المشجب: «ما رأيك بهذا؟».

ـ سأبدو فيه أشبه بمنديل مائدة عملاق.



فنظر إليها بحيرة: «منديل مائدة عملاق؟».

ـ أنت تعرفها، تلك المناديل المطرزة الصغيرة التي كانت جداتنا تضعها تحت الأطباق والكؤوس.

ـ مطرزة؟

صبت إيما فنجاناً من القهوة الطازجة، وضعته على المنضدة، ثم أشارت إلى منديل مستدير مطرز وجدته تحت مزهرية: «هذا منديل مائدة».

ـ فهمت.

ـ تصورها الآن فوق بعضها البعض بعلوّ خمسة أقدام. ثم تصورها مجوّفة وأنا واقفة في الوسط.

فأجفل: «فهمت. لا تريدين أثواباً مطرزة إذن».

ثم أخرج ثوباً آخر: «ما رأيك بهذا؟».

قالت وهي تنهالك على الأريكة: «كل هذه الشرائط تجعلني أفكر في ضحية مغطاة بالأربطة. لا فائدة يا غراي. من الأفضل أن تتناول فنجان قهوة أنت أيضاً لأنني لن أشترك معك في اختيار ثوب الزفاف».

ـ لماذا؟

ـ لسبب وجيه وهو أنه من المفروض ألا يرى العريس ثوب عروسه، لأن هذا ليس فألاً حسناً. ونحن لا نريد أن نغري القدر ليرسل إلينا مزيداً من الحظ السيء أكثر مما لدينا. عندما تعود ماري لو سأخبرها بما أريده ثم نتفق على موعد. هل هذا حسن؟

ـ بكل تأكيد.

وجلس ثم مد يده إلى جيبه يخرج شيئاً، ويبدو أنه غير رأيه: «بعد أن نتحدث إلى ماري لو، أرى أن نتوجه إلى متجر الزهور».

ـ بِمَ تعبث في جيبك؟

فقطب حاجبيه: «لا شيء».



www.rewity.com

فثار فضولها: «ليس من عادتك أن تعبث بأشياء في جيبك. لكنك تفعل ذلك منذ تركنا بيت جدي، ما هو؟».

- سأريك ذلك فيما بعد.

- أنا غير مشغولة الآن. أرني هذا اللغز الكبير.

تردد لحظة ثم أخرج من جيبه علبة مجوهرات صغيرة: «كنت سأنتظر حتى الليلة، فآخذك إلى مكان شاعري لأعطيك هذا».

حدقت إليه بجمود: «هل هو ما أظنه؟».

فتح العلبة، فتألقت ماسة رائعة على البطانة المخملية السوداء. أخرج الخاتم بعناية وأمسك بيدها وقال وهو يضعه في إصبعها: «هذا لك».

فتنفست بصعوبة: «يبدو لي مألوفاً».

- لأنه محبس جدتك وخاتم أمك. لقد حصلت عليهما من تي.

لا يمكن أن يقوم غراي بكل ذلك خلال عدة ساعات فقط. هذا الإنجاز الهام يتطلب أسابيع. حدقت بالخاتم غير قادرة على استيعاب الأمر. كانت صناعته مذهلة. إنه في غاية الإتقان. كانت دوماً تحب الحجارة الماسية في محبس جدتها وبما أنه مجدول بخاتم أمها السوليتير، فقد كان يخطف الأنفاس بجماله.

- متى؟

لم تستطع أن تنبس بأكثر من هذه الكلمة، ولكن يبدو أن غراي فهم سؤالها: «منذ ستة أشهر. كنت حينذاك سأطلب منك الزواج. لكنني لم أنجح».

لأنه أخذ شركة جدها فتركته. قالت وعيناها مغرورقتان بالدموع: «إنه رائع. شكراً».

- هل ستلبسينه؟

لن يمنعها أحد من لبسه إلا إذا قطع إصبعها. رفعت يدها إلى



وجهه ولامست ذقنه، فانعكست أضواء الماسة على ملامحه أشبه بنجوم صغيرة، وقالت: «نعم، يا غراي، سألبسه».

وانحدرت دمعة على خدها.

وعانقته، مظهرة في ذاك العناق كل ما تحمله له من حب أخفته في قلبها. إنها تحب هذا الرجل، ولطالما أحبته. ولسوء الحظ، لم يكن الحب كافياً. انحدرت دمعة أخرى. يمكنه أن يتحدث عن خطبة ويضع خاتمه في إصبعها، لكن النتيجة لن تكون بالزواج منه. كيف يمكن أن تكون كذلك؟ فهو لم يحقق شرطها الثاني، كما أنه ليس غراي الذي تعرفه.

* * *

مرّ الوقت بسرعة، وأبقاها غراي مشغولة بالركض من متجر الزهور إلى قاعة الاستقبال. ظنت في البداية أنه يبقيها مشغولة عن الاحتجاج على زواجهما. ولكن بعد مرور أسبوع، أدركت أن هذا ليس هو السبب.

كان يستمتع بالأمر. فقد كان مهتماً بكل شيء يتعلق بزواجهما ابتداء من الأزهار، حين أخذ يغيظها لأنها عاجزة عن الاختيار. بدا أن حجم التفاصيل لم يكن يهمه، فقد شارك في كل ذلك مقدماً آراءه، ولكن من دون أن يتدخل في اختيارها. كانت تلك لحظات غير عادية. لحظات بهجة... لحظات لن تنساها أبداً.

لم يسبق أن رأته بهذا الارتياح... ما عدا في اللحظات التي يكونان فيها بمفردهما. في تلك الأوقات، تشعر بأحاسيسه المكبوتة خلف مظهره الهادىء، وبمبلغ تحكمه بأعصابه. فيتباطأ الوقت ويحتدّ، وكأنهما يحومان فوق شقا اكتشاف كبير. عندئذ، كانت خطوبتهما تبدو حقيقية، وكأنما بإمكانهما إنجاح كل شيء، وكأنهما سيمضيان حياتهما معاً.



www.ewity.com

في الصباح السابق للزواج، استطاعت إيما أن تتسلل مبتعدة عن حركة اللحظات الأخيرة، مصممة على الاستمتاع بقليل من الوحدة لتلتقط أنفاسها.

لم تحن لها فرص كثيرة كهذه، لكنها حالما استقرت على كرسي تي، حتى سمعت نقراً خفيفاً على الباب. ثم أطل غراي برأسه: «وجدتك».

ـ هل هناك مشكلة؟

لم تحدث مشاكل حتى الآن. دوماً كانت هناك حلول بوجود غراي.

ـ في الواقع، لديّ هدية لك.

رفعت رأسها بسرعة وسألته وهي تفرك يديها منتظرة: «ماذا أحضرت لي؟».

ـ ليس ماذا بل من.

وفتح الباب على اتساعه وتنحّى جانباً. ودخلت تايس وراين وهما تبتسمان ابتسامة عريضة، بينما قال: «لقد افتقدت عدم قضاء يوم معهما قبل عرس تايس، فحاولت التعويض عن ذلك».

حدقت إيما غير مصدقة. لقد برهن غراي عن اهتمامه بها بطرق كثيرة. أولاً، ثوب الزفاف، ثم ذلك الخاتم الرائع، وتفاصيل الزواج الصغيرة، والآن هذا. إنها أحسن هدية حتى الآن، باستثناء الخاتم، وهذا ما جعلها تدرك تفهمه العميق لرغباتها. ولمعت في عينيه نظرة رقيقة حدثتها عن كل ما لم يجرؤ على التعبير عنه بصوت مرتفع. اندفعت نحوه وارتمت بين ذراعيه. ثم فعلت ما كانت لتفعله أيّ امرأة في وضعها... انفجرت باكية.

* * *

سأل غراي: «ما الذي تعنيه أن إيما مفقودة؟».



فعبس تي: «هل تشكو من مشكلة في أذنيك، يا فتى؟ أم أنك لا تفهم جيداً؟ قلت... إن إيما غير موجودة. أي كلمة لم تفهمها؟».

تمسك غراي بغضبه. فالغضب أفضل من أن تعتصر قلبه المرارة: «متى رأيتها لآخر مرة».

ـ في المكتبة حيث كانت تمزح مع صديقتيها، ثم أخذن يقبلن بعضهن مودعات.

ومرّ بيده المغضنة على وجنتيه: «أنا عجوز مسكين نجوت لتوّي من الموت. وقلبي لا يحتمل الإثارة».

ـ تي!

ـ أنا ذاهب إلى هناك، يا فتى، فلا تفقد السيطرة على نفسك وسط هذه الضوضاء.

أحس غراي بقلقه وتوتره عندما قال: «وبعد تبادل القبلات معهما هربت إيما من الباب».

ـ مع تايس وراين أم وحدها؟

اشتدت أصابع العجوز على مقبض عصاه: «أظن أن ذلك يسمونه توتر العرائس. لا أستطيع أن أفكر في أي سبب آخر يجعل دموعها تتشرب كحنفية الماء».

ـ أكانت تبكي؟

ضرب تي الأرض بعصاه بشدة: «أليس هذا ما قلته لتوّي؟ لقد فجر دموع الفتاة شيء قاسٍ عنيف».

وحملق في غراي: «لقد نبهتك إلى أن إحضار الفتاتين هي فكرة سيئة. ربما أمضتا الليل في اقناعها بعدم الزواج منك».

فسأله غراي بهدوء: «وهل فعلتا هذا؟».

ـ ربما.. قليلاً.

ـ وكيف عرفت ذلك؟



www.rewity.com

فتمتم: «وما ذنبي إذا أنعم الله عليّ بسمع جيد؟».

فقال غراي رافضاً أن يتساهل معه: «همم... لا شك أن أذنيك أمضتا المساء ملتصقتين بأقرب جدار للمكتبة».

فصاح تي: «هناك فتحة في المطبخ تؤدي مباشرة إلى المكتبة. بإمكاني أن أسمع منها كل كلمة تقال هناك. إنما عليك أن تقف على الطاولة لكي تسمع جيداً».

أغمض غراي عينيه وقد وهن تحكمه في طباعه: «دعني أتكهن. لقد صادف أن كنت في المطبخ واقفاً على الطاولة».

- وهل يمكن أن أصبر إذا شعرت بالجوع؟ كما حاولت أن أختبر متانة خشب الطاولة. يمكنني أن أخبرك بأن تلك الطاولة قوية ومتينة. لدي شيء آخر أريد أن أخبرك به أيضاً، شيء يجعلك سعيداً.

- أريد أولاً أن أعثر على إيما. إذا سلطنا ضوءاً ساطعاً في الخارج، أظنني أعلم أين تكون.

- في كوخ الشجرة؟

- إنه تخميني.

بعد أن اطمأن إلى أن المصباح اليدوي يحوي بطاريات جديدة، توجه غراي إلى ساحة منزل تي الخلفية. وكان القمر قد ارتفع لتوّه في الأفق، بدراً مكتملاً، ملقياً بضوئه الفضي فوق التلال. ولم يشعل مصباحه إلا بعد أن وصل إلى الغابة التي تؤدي إلى نهر ناغت كريك.

كانت الطريق القديمة مكسوةً بالأعشاب البرية. كان هذا المكان أشبه بالجنة عندما كانا، هو وإيما، صغيرين. ربما سيعود كذلك مرة أخرى؛ كل ما عليه أن يفعله هو إقناع عروسه الدامعة العينين بأن قرية بالمر هي مكان مثالي لإنجاب مجموعة من الأولاد. فكلاهما مستعد لأن يحوّل كوخ الشجرة القديمة إلى جسر لمشاريع النجوم. على الأقل هذا كان يحدث عندما كان يلعب مع إيما وهما صغيران.



تلاشت النباتات قبل وصوله إلى النهر بمسافة قصيرة. وفي آخر الطريق كانت شجرة بلوط ضخمة تغطي فروعها الممتدة ضفة النهر، وقد استكان داخل أحد فروعها الضخمة كوخ كبير حيث كانا، هو وإيما يلعبان في حداثتهما. وتملكته الدهشة، فالمكان لايزال بحالة جيدة رغم مرور السنين. وهو الآن يرى ألواحاً ومسامير جديدة. من الذي كان يُعنى بترميمه، تي أم إيما؟ لا بد أن إيما هي المسؤولة.

صعد السلم المؤدي إلى الشجرة، ثم تسلق إلى الكوخ.

ونادى: «الديّ رخصة للصعود إلى ظهر السفينة، يا كابتن».

تملكه الارتياح وهو يسمع ضحكة خفيفة من فوقه: «ما هي كلمة السر؟».

- ساعدني على الصعود، يا سكوتي.

ظهر رأس في أعلى السلم: «هذه ليست كلمة السر».

- تباً.

- وهذه أيضاً.

- أرجوك.

- لا.

- ارتباط؟

لمَ يتذكر أشياء سخيفة بعد مرور كل هذه السنين؟

- لوقا؟

- أنت تخلط الأمور.

- هذا لا يعينني على تذكر كلمة السرّ. لِمَ لا تقومين بإعطائي إشارة.

وصعد درجة أخرى ثم سألها: «هل ستدعينني أصعد إلى فوق؟ حتى ولو لم أعرف كلمة السر؟».

- أظن ذلك.



www.rewity.com

وتراجعت ثم قالت: «بإمكانك أن تجلس حتى أفحص أوراق اعتمادك».

ـ لا بأس.

دخل إلى الكوخ، بينما تكوّرت إيما في إحدى الزوايا المظلمة، وقد أحاطت ركبتيها بذراعيها. وبدا ضوء المصباح متطفلاً فأطفأه.

ـ شكراً.

ـ لا مشكلة.

لاذت بالصمت، فأحس غراي بالحواجز التي وضعتها لتجعله بعيداً عنها. لن يكون الأمر سهلاً. حرك نسيم عليل أوراق الشجر حولهما وكأنما كان يحثه على التقدم بحذر نحوها، وإن كان لا يحتاج إلى ما يذكره بذلك، فمع إيما، عليه أن يكون دوماً بالغ الحذر.

حاول أن يبدأ حديثاً عادياً: «كم مضى من الوقت على آخر مرة كنا فيها هنا معاً؟».

ـ معاً؟ حوالى عشر سنوات.

ورآها، على ضوء القمر.

طريقة جوابها استرعت انتباهه: «وكم مضى على آخر مرة كنت فيها هنا وحدك؟».

ـ ستة أشهر.

لم يكن بحاجة إلى الذكاء لكي يحسب ذلك: «أي الوقت الذي افترقنا فيه؟».

ـ نعم.

أخذ يقيّم المشكلة منطقياً: «بما أنك هنا، فقد حدث شيء ما. ما هو؟ ألم تمضي وقتاً جيداً مع راين وتايس؟ هل أخطأت أنا في استدعائهما؟».

دفنت وجهها بين ركبتيها: «بل كان عملاً رائعاً منك. شكراً».



فتقدم منها قليلاً: «هل قالتا شيئاً ساءك؟».

ـ تايس سعيدة جداً مع شايد. عليك أن تراهما معاً.

ـ و...؟

ـ أنا لست واثقة من أننا سننتهي مثلهما.

عكس هذا الاعتراف تحطّم قلبها، ثم رفعت رأسها تنظر إليه. وأضاء ضوء القمر آثاراً على وجنتيها. إنها دموع. وتابعت تقول: «لست واثقة من أننا سنحلّ مشاكلنا يوماً ما».

فتوتر فكه: «لا تظنين أنني سأعرف ما تريدين، أليس كذلك؟».

ردّت ببساطة مفعمة بالألم: «لا. إذا كان عليك أن تستنتجه، فهذا لن يحصل إذن. إما أن تفهم ما أريد وإما لا تفعل. وأخشى أنك لن تفهم».

حاول أن يفكر في حل، أي حل عدا ذلك الحل المعقول تماماً. ولسوء الحظ لم يستطع أن يفكر في شيء: «يمكننا أن نرجىء الزواج. يمكننا أن ننتظر إلى أن تقتنعي تماماً بالفكرة».

وكان هذا الاقتراح هو أصعب قرار في حياته.

ـ الانتظار لن يغيّر شيئاً.

فكاد الإحباط يقتله: «إشرحي ذلك لي. لا أفهم لما نضع كل هذه المطالب والشروط؟ لمَ هذه الالاعيب؟».

فقفزت كالملدوغة: «ليست الاعيب. أريد منك شيئاً، وأريد أن أعلم أنك ترى الأمور مثلي وإلا فزواجنا لن ينجح».

ـ لماذا لا تخبرينني ببساطة عما تريدينه؟

هزت رأسها وهمست: «لا أستطيع».

ـ تعنين أنك لا تريدين.

فقالت بحدة: «يمكنني ذلك. يمكنني أن أدسه داخل رأسك، لكنني أفضل أن يتسلل إلى قلبك».



www.rewity.com

وقف وسار إلى الناحية التي يبدو منها النهر. كانت ظلال القمر تتراقص على صفحة المياه: «أنت تضعين العقبات في الطريق يا إيما لأنك خائفة من أن تحبيني. خائفة من أن أتركك يوماً ما كما تركك والداك وجدتك، وبهذا تعود إليك تلك الأحزان».

فسارعت بالإنكار: «أنا لست خائفة من أن أحبك أو أتزوجك، ولا علاقة لهذا بوالديّ وجدتي».

فقال بارتياب: «لا؟ ممّ تخافين إذن؟».

ـ أنا خائفة من أنه عندما يحين الوقت ونقف معاً أمام الكاهن لن يسعك أن تعطيني ما أريد فلا يتم الزواج.

ردّ بتعقل: «إذا قلت نعم أقبل هذا الرجل سيتم الزواج. الأمر بسيط للغاية».

ـ أعتقد أن الكاهن فرانكلين يفضل أن نقول (نعم) وليس (أريده).

انفجر ضاحكاً: «يا حبيبتي، كلمة نعم لا تعبر عن شعوري نحوك، ولهذا أرى الأمر محبطاً للغاية».

ـ ليس لديك فكرة عن شرطي الثاني، أليس كذلك؟

فكرة؟ لا. ليس لديه. ولكن بإمكانه أن يخبرها بما يحب أن يفعل بشرطها الثاني هذا. إنه يريد أن يجرها أمام الكاهن، لجعل علاقتهما شرعية ويردد لها كلمات الحب التي تسعدها وتبقيها بجانبه بقية حياتهما. إنها التعهدات القديمة التي يرددها الناس على مدى التاريخ. والتي يريدانها أكثر من أي شيء آخر في العالم.

حاول أن يخفف من توتر الجوّ بينهما بالمزاح: «هل لهذا الشرط علاقة بكلمة السر؟».

ـ لا، مع الأسف. كلمة السر تلك لا علاقة لها برغبتي الخفية.

وقفت بجانبه وشذا عطرها يطغى على كل عطر محيط بها: «أنت تريد إشارة تقودك إليه، أليس كذلك؟».



تنفس طويلاً وقال: «أتسألينني أم تعرضين عليّ ذلك؟ لأن ذلك يبدو عرضاً».

ـ ربما هو كذلك.

أغرته إمكانية عرضها، إذ لم يكن لديه شك في أن بإمكانه أن ينتزع منها أكثر من علامة. من السهل جداً عليه أن يجعلها تخبره بما تريد، فهي ضعيفة وعاطفية أمامه. إنه لا يحتاج إلى سنوات الخبرة لكي يعرف أن بضع كلمات صائبة مع قليل من الضغط الذكي، يكسبه ما يريد... أكثر مما يوفره له الاستنتاج.

ولكن، عندما فتح فمه ليقبل عرضها، تذكر تلك النظرة التي رمقته بها في غرفة جدها عندما ضغط عليها لتقبل الزواج منه. كان في عينيها حينذاك، تعبير غريب، وكأنه جرحها بشكل عميق. وكأنه قال أو فعل شيئاً كريهاً، أو فشل في القيام بعمل بالغ الأهمية. لم يسبق أن رأى مثل تلك النظرة في عينيها من قبل.

لم يكن ألماً سطحياً، بل كان عميقاً للغاية. ما ساءها ذلك اليوم، وصل إلى أعماقها وبدت منطفئة الروح منذ ذلك الحين.

هز رأسه وهو يكيل الشتائم لنفسه: «لا، يا إيما، لا أريد إشارات. نحن سنتزوج وبعد ذلك سنتأكد نحن الإثنين، من أننا قمنا بالصواب».

ـ هل أنت واثق من أنك لا تريد علامة؟ حتى ولو بسيطة؟

ولامست ذراعه بأصابعها متسائلة.

انقبضت يداه على الحاجز بدلاً من أن يضعهما عليها: «لا، أنا لست واثقاً».

ما كان ينبغي لها أن تلمسه. واستنفد كل إرادته لمنع نفسه من لمسها واحتضانها.

جاهد ليجمع شتات أفكاره ويتحكم بمشاعره المحمومة التي كادت تخرج عن سيطرته.



www.rewity.com

تعمد الابتعاد عن الحاجز، وساعده ذلك على تبريد مشاعره واخيراً قال: «لكنني أريدك أن تفعلي شيئاً لأجلي. أريدك أن تقنعيني بأنك لا تحاولين أن توقفي زواجنا بدافع الخوف».

* * *



## ٩ ـ بصيص الأمل

إلى: السيدة الرئيسة.
اديليد، لجنة كيوبيد.
من: غراي شاو.

أحيطكم علماً بأني أضع حداً لهذا العمل. ولن يكون هناك مزيد من مساعي التوسط. تتوقف كل المراهنات رسمياً.

وجاءت رسالة إلى غرايسن شاو.

من: السيدة الرئيسة اديليد، لجنة كيوبيد،

أرجو أن تتفهم أن بعض الأحداث عندما تبدأ مجراها، يستحيل أن تتوقف.

رد غرايسن شاو عليها:
إلى: السيدة الرئيسة. اديليد، لجنة كيوبيد.
من: غرايسن شاو.

مستحيل؟ سترين ما سأفعل.

(ع)

* * *

سألته إيما: «أتظنني خائفة من حبك؟».



www.rewity.com

فأجاب منتقياً كلماته بعناية: «أظنك عانيت كثيراً من فقدان الأحباب في حياتك. فقدت والديك، ثم جدتك، وأصدقاءك».

- ماذا تريد أن تقول؟

- أريد أن أقول إنك أصبحت خائفة من الوقوع في الحب، فإذا فقدت من تحبين ستخسرين جزءاً من ذاتك، هل هذا ما ستشعرين به لو فرقتنا الظروف مرة أخرى؟ هل ستشعرين وكأنك فقدت شيئاً من ذاتك؟ هذا ما سأشعر به أنا نفسي.

أحنت رأسها وهمست: «نعم».

- إذن...

فرفعت رأسها واقتربت منه: «هذا ليس سبب وضعي ذلك الشرط لزواجنا. ليس بسبب الخوف من الفقدان، بل الخوف مما بيننا من فروق».

كبح آهة وقال: «دعيني أخمن، أنا قاس وعديم الرحمة».

فقالت دون اعتذار: «هذا صحيح».

- لا بأس، حسناً. أنا عديم الرحمة. هل ينبغي أن يمنعنا ذلك من الزواج؟ وما علاقته بالشرط الذي تضعينه؟

- إذا أخبرتك بصراحة بما أريده، فستدرك ذلك بعقلك فقط ثم تعالج المشكلة بشكل عمليّ ومنظم.

لقد فقدته كلياً. ولكن هل هناك طريقة تتغلب بها على العقبات؟

- أستنتج أنه لا يفترض بي أن أحل هذه المشكلة بالذات بهذه الطريقة.

فهزت رأسها: «عليك أن تستعمل قلبك. إذا تمكنت من ذلك، فستفهم ما أريده. لكنني لا أظن أنه بمقدورك ذلك، لأنك لن تسمح لنفسك بأن تفكر بقلبك. فهذا ضد طبيعتك».

- هل أنا بحاجة إلى شرح سخافة الأمر؟ ما معنى أن تفكر بقلبك؟



لمعت عيناها بشدة في ضوء القمر: «عليك أن تستنتج ذلك. لا يمكنك أن تعالج الأمر وكأنه مشكلة مهنية يا غراي. أنا لست لائحة من الأرقام تجمعها لترى النتيجة فتحل بذلك المشكلة. إنها ليست مشكلة في العمل لتحلها دون رحمة. العلاقات لا تنجح بهذه الطريقة، أو لا ينبغي ذلك على الأقل».

وهزت كتفيها.

- تباً لذلك يا إيما.

وضرب الحاجز بكفه: «أنا لست مثلك. سبق ونبهتك إلى أنني عاجز عن تغيير طبيعتي. لا يمكنني أن أعالج المشاكل بقلبي، مثلك».

- لا. بل برأسك.

- لتخبرينني بأنني لا أستطيع القيام بذلك. لقد قيّدت يدي، يا إيما. ليس من طريقة تجعلني أنجح، وذلك لتثبتي أن شخصيتينا مختلفتان.

- ليستا مختلفتين فقط، بل متناقضتين تماماً. أنت متفوّق، وأنا إنسان عادي. والذي ينقصني ليس في قاموسك. إننا متناقضان تماماً ولا يمكن لاثنين مثلنا أن يتآلفا أبداً.

فقال مازحاً ليخفف من حدّة الوضع: «ألا يمكن أن أتآلف مع أي كان؟».

ضحكت بالرغم منها: «لا بأس، ربما. يجب أن تتقبل المنطق الذي أتحدث به. هنالك سبب يمنع الأنواع المتضادة من الانسجام فهي مختلفة تماماً. ليس من الناحية الشخصية فقط بل نظراً لجيناتها الوراثية».

- أتقولين إننا لن ننجح بزواجنا؟ أنت مخطئة وأنا سأثبت لك ذلك بطريقة ما.

- لقد ابتدأ السيد بالعمل.



www.rewity.com

بل السيد المندفع.

واقترب منها وأخذها بين ذراعيه. لم تقاوم كما كان يتوقع. فقد استجابت له بشكل طبيعي وكأنها تنتمي إليه، مناقضة بذلك كل ما كانت تقوله لتوّها بكل حماسة.

كانت رائحتها مزيجاً من العسل والورد، ولم يدرك حتى افترقت عنه أنه كان يحمل معه هذه الرائحة التي يقرنها بها على مر السنوات.

كما بقي يتذكر رنة صوتها، والبهجة في ضحكتها.

تلك المشاعر المحمومة كانت تعيش معه. وكان دوماً يفترض أنها ستتطور يوماً ما لتصل إلى أولادهما وأحفادهما. وأنه، عندما يشيب شعرها وتنضج السنين جمالها، سيكون لديه ذكريات تجمعه بها.

هل كانت تراه لا يرحم من قبل؟ ذلك لا يقاس بما سيكون عليه الآن. مهما كلفه الأمر، سيعطيها ما تريده. لأن البديل عن ذلك، وهو خسارتها، هو أفظع من أن يفكر فيه.

قال متعهداً: «هذه ليست ليلتنا الأخيرة معاً. غداً سنكون زوجاً وزوجة. وهذا عهد مني».

لم يمنحها وقتاً للجدل، فقد وجدها في الظلام. وعانقها بحرارة لم تفتها. لم تقاومه. لكن خديها بقيا مبللين بالدمع. وأدرك أنها لم تصدقه، رغم عدم استنكارها. بإمكانه أن يحس بخوفها عبر لهفتها.

قالت ضارعة: «إبق معي».

ـ لماذا؟

ـ أنت تعرف لماذا.

كانت كلماتها رقيقة وبالكاد يسمعها. فسألها: «هل أنت خائفة من أن لا نكون غداً معاً».

ـ ألا يمكننا أن نبقى فقط هذه الليلة دون أخذ وردّ؟

فثار غضبه: «أتعنين قبل أن نفشل في الزواج غداً؟ فنكون قد ربحنا



هذه الليلة».

ـ هذا عائد إليك؟ أنت لم تيأس، أليس كذلك؟

واشتدت ذراعاها حول عنقه.

لم يستطع أن يبقى غاضباً منها، خصوصاً الليلة: «أنا لن أيأس منك أبداً».

عانقها مرة أخرى. أراد أن يبقى، ليستمتع بكل لحظة بقربها. ومن ناحية أخرى، حثه دافع قوي على الإسراع بالرحيل.

وتحت ضوء القمر، توقف الزمن.

تسارعت أنفاس غراي بصوت مسموع في هدأة الليل. وقفا مطوّلاً يحدقان ببعضهما؛ كانت عيناها تلمعان ببريق النجوم، عاكسة شعاع الفردوس. تسلل ضوء القمر من خلال أوراق الشجر ليسيل على حبيبين يتعانقان بشوق.

تجاوبت مع عناقه فتقد صوابه من حرارتها ونعومتها. هل مرت ستة أشهر فقط على آخر مرة كانت بين ذراعيه؟

وأدرك في تلك اللحظة أنّ عليه أن يفعل شيئاً. أي شيء ليجعلها زوجته.

وقال متعهداً: «أقسم لك أن هذه ليست النهاية. إنها البداية فقط».

* * *

كان البدر في قبة السماء يغرق الكون بأشعته الفضية. وانحنى غراي يلامس شعر إيما. حاول جهده أن يمحو تلك الابتسامة العريضة الغبية عن وجهه، لكنه لم يستطع منع نفسه. بعد حرارة هذا العناق وعمق المشاعر الذي اكتشفه، لم يعد في ذهنه شك في أنه سينجح في تحقيق شرطها الثاني. فالساعات القليلة الماضية كانت بداية جديدة. لقد خلقا لبعضهما البعض، وسيقوم بكل ما هو ضروري ليتأكد من أنهما سيعيشان فعلاً معاً. وعليه فقط أن يخمّن ما تريده.



www.rewity.com

كانت قد نصحته بأن يستشير قلبه، لأنها بكل بساطة اعتادت مقاربة الأمور بتلك الطريقة. لكن ذلك لا يعني أنه لا يستطيع استعمال عقله في تحليل الأمور.

سيكون عقلانياً منطقياً وهكذا سيعالج المشكلة. وقطب جبينه. لقد عالجها بالطريقة التي قالت له إيما إنها غير مطلوبة وتملكه شيء من التردد.

بإمكانه أن يقوم بهذا... أليس كذلك؟

* * *

كان البدر في قبة السماء يغرق الخليقة بأشعته الفضية، حين دنت إيما من غراي وقد أمرت نفسها بألا تبكي. لكنها لم تستطع منع نفسها. كانت متيقنة تماماً من أنه لن يستطيع تحقيق شرطها الثاني، فالساعات القليلة الماضية كانت بمثابة الوداع النهائي. كم كانت تتمنى لو أنهما خلقا لبعضهما لكنه لن يفهم أبداً ما تريده.

آلمها الأمر، لقد نبهته إلى أنه يحتاج إلى استشارة قلبه. ولكن أنّى له ذلك وهو لم يستشر قلبه قط لحل مشكلة في حياته؟ هذا هو غراي.

فهو سيحاول أن يستعمل قدرته العملية لتحليل الوضع منطقياً. أو... هل سيفعل ذلك؟ ربما سيستعمل هذه المرة الحدس. وارتجفت ابتسامة على زاوية فمها. هل سيعالج الأمر بنفس الطريقة التي أشارت إليها؟ وتملكها شيء من التفاؤل. بإمكانه أن يقوم بذلك... لا؟

* * *

صرف غراي بأسنانه وقد بدأ يتوتر. عليه أن يفكر ملياً في كل شيء، فالله وحده يعلم ما هو الشرط الذي جاءت به. لا يفيد المنطق دوماً مع إيما. بما أنه يفكر في ذلك، لم ينفع ذلك معها قط. كم من المرات كان يتوقع أن تسير في طريق ما، فاتتهجت الطريق المعاكس تماماً؟ وقطّب حاجبيه. لن ينجح الأمر، أليس كذلك؟ مستحيل. لقد



سنحت له الفرصة لإعادة التفكير، لم يكن في ذهنه شك بأنه عندما يحين الوقت سيجد أنه أخطأ في حساباته. ما الذي سيفعله الآن؟ لا يهم ما أخبر به إيما، كان متأكداً من أنه لن ينجح أبداً، وعندما تغرب عليهما شمس الغد، سيذهب كلاهما في طريقه وهذا مؤكد.

* * *

تنهدت إيما، شاعرة بالارتياح. هل من الممكن أن يفكر غراي بمشاعره؟ لطالما كان يحبها، فكم من المرات توقعت منه أمراً، وإذا به يسير في نفس الاتجاه معها؟ واتسعت ابتسامتها. سينجح الأمر. أليس كذلك؟ الآن وقد سنحت لها الفرصة لإعادة التفكير، لم يعد في ذهنها شك في أنه سيعيد حساباته. استرخت قبضتاها إذ لم يعد عليها أن تقلق لما سيفعله.

لم يعد مهماً ما أخبرت به غراي، كانت متأكدة من أنه سينجح. وعندما تغرب عليهما شمس الغد، ستكون هي وغراي زوجاً وزوجة.

خلال ساعات قليلة سيتم زفافهما. ولن يسع إيما الانتظار. ستكون بداية جديدة تماماً كما وعدها غراي.

* * *

بداية جديدة؟ أهه... بالنسبة إليه كان الأمر نهاية الطريق. دس أصابعه في شعره، بعد أن سرحه لتوه. لقد حان الوقت وهو يكاد يحترق.

كان شايد وشادو قد ذهبا لتنظيم الموكب، تاركين غراي وحده لبضع دقائق. نظر إلى المرآة لآخر مرة، ثم عبس. فبالرغم من تفضيله لوناً قاتماً، إلا أن إيما أصرت على أن يرتدي طقماً رمادياً يناسب اسمه.

بدا له حينذاك أنه مدين لها بذلك خصوصاً وهو يرى الحب على وجهها والحماسة في عينيها. لأجل تلك اللحظة القصيرة التي اعتبر فيها



www.rewity.com

أن خطوبتهما لم تكن نتيجة لاحتيال اللجنة بل حقيقية تماماً.

بدا التصميم على وجهه؛ سيحوّل الخيال إلى حقيقة مهما كلف الأمر. في أعماقه كان يعلم أنها تحبه، وأنها تريد أن تتزوجه بقدر ما يريد هو ذلك. كل ما عليه أن يفعله هو تجاوز تلك العقبة الصغيرة التي وضعتها في طريقه.

وزم فمه. سيجتازها مهما كلف الأمر. وألقى نظرة أخيرة سريعة على المرآة، ثم تنهد.

انفتح الباب المؤدي إلى الهيكل ودخل تي على رؤوس أصابعه متأخراً بعد ليلة صاخبة. لقد كان بحاجة إلى عصاه ليستند عليها. نظر في أنحاء الغرفة، ثم أقفل الباب بالمفتاح.

كبح غراي ضحكة، وسأله: «هل جئت لتتمنى لي حظاً سعيداً؟».

ـ أنت لست بحاجة إلى ذلك.

وأشار بعصاه نحوه: «ما أنت بحاجة إليه هو قليل من العون قبل أن تحرج نفسك أمام إيما وجميع أهل البلدة».

ـ ليس لدي وقت لهذا، الآن.

ـ آه، بل لديك. حاولت أن أخبرك بذلك الليلة الماضية، لكنك خرجت قبل أن أتمكن من ذلك.

ـ أردت أن أبحث عن إيما.

أمسك تي بذراع غراي: «أما الآن، فعليك أن تصغي إلي يا فتى. إذا شئت أن تخرج من الكنيسة متأبطاً ذراع عروسك...».

ومال إلى الأمام مخفضاً صوته: «عندما كانت إيما وصديقتاها في المكتبة، سمعت شيئاً بالغ الأهمية... شيئاً سيجعلك زوجاً سعيداً».

* * *

ـ هل أنت متوترة الأعصاب؟

سألتها راين فهزت إيما رأسها. ما تشعر به يتعدى مجرد توتر



الأعصاب. لم تكن تعلم إن كان عليها أن تبكي أم تضحك رغم أن الدموع كانت الخيار الأكثر احتمالاً. اين ذهبت ثقتها بنفسها؟ يبدو أنها تبددت مع ظلمة الليل. وقالت وكأنها تحدث نفسها: «ينبغي أن تكون العروس سعيدة».

تقدمت تايس، ووضعت النقاب على رأس إيما ثم سألتها: «ما الذي يكدرك؟ هل هو الخوف من ألا يحقق شرطك... أم أن يحققه؟».

ـ أريد أن أتزوج غراي. فأنا أحبه أكثر من الحياة نفسها.

كان الاعتراف بسيطاً بقدر ما كان صريحاً إلى حد مؤلم. فأحنت رأسها: «ربما هو محق. ربما أنا أرغمه على التراجع بدافع الخوف».

أحاطت تايس كتفيها بذراعها: «ممّ تخافين يا حبيبتي؟ هل يمكنك أن توضحي لنا؟».

جاهدت إيما لكي تعبر عن مشاعرها بالكلمات. لتترجم ما استغرق منها سنوات لتفهمه: «غراي هو نصفي الآخر. كان دوماً كذلك. نحن الإثنان نعي هذه الحقيقة منذ عشر سنوات».

وتناولت منديلاً ورقياً جففت به دموعها: «أظنني أبعدته عني مدة طويلة لأنني كنت أعلم أنني إذا تزوجته، أو سمحت لنفسي بأن أحبه فسأكون ضعيفة. لذا، يجب أن اكبت مشاعري، مدعية أنها غير موجودة».

فسألتها تايس بعطف: «والآن سمحت لنفسك بأن تحبيه؟».

ـ لا أستطيع احتمال فقدانه.

تبادلت صديقتاها النظرات، ثم قالت راين بلهجة عملية: «لست مضطرة إلى أن تطلبي منه تحقيق الشرط الثاني. لو تكهن بأن الشرط هو (أحذية الأطفال) قولي له فقط إنه أصاب الحقيقة، وإنه رجل ماهر. لقد زعزعت ثقته، واتعبته لخوفه من ألا يتم هذا الزواج. لا بد أنه سيحسن

التصرف بعدها مدة. . . آه. . . أسبوع على الأقل».

صاحت نايس: «أعطه يوماً على الأكثر فهو لن يصمد طويلاً».

فقالت إيما مترددة: «عدم الرحمة ميزة حسنة أحياناً».

فقالت راين: «بكل تأكيد. إنها ميزة هامة في كل رجل عرفته تماماً كجابي الضرائب أو راعي البقر».

نظرت إيما إليها باستغراب: «راعي بقر؟».

فقطبت راين جبينها: «لو عرفت جاري لفهمت ما أعنيه، غراي لا يقارن به».

فقالت نايس: «إيما، إذا كنت تحبين غراي بالقدر الذي تقولين، ولا تحتملين فقدانه، تزوجيه إذن».

هزّت إيما رأسها: «أعرف أنه يحبني بقدر ما أحبه، ولكن. . . لا ينبغي أن يكون جزء أقوى من الجزء الآخر وإلا لفسد التوازن. سينتهي الأمر بأن يتغلب جزء على الجزء الآخر. قبل أن أتزوجه أريد أن أعلم أنه لن يحاول أن يتغلب عليّ».

ـ أنت لا تظنين أنه سينجح، أليس كذلك؟

أعلنت راين بخشونة فردت إيما بابتسامة مرتجفة وهي تلقي بالمنديل الورقي من يدها: «لا. لكنني لم أفقد الأمل كله بعد».

* * *



## ١٠ ـ بانتظار معجزة

إلى: أعضاء لجنة كيوبيد.

من: السيدة الرئيسة أديليد لدى لجنة كيوبيد.

تجنباً لتعرضنا لأول فشل، قررت استعمال الخطة الأخيرة. أعطيت لي تعليمات بما عليه أن يفعل، فإذا سارت الأمور كما يجب، سيكون غراي وإيما زوجين عند نهاية النهار.

* * *

وقف غراي أمام الكنيسة، وجاهد ليخفي توتر أعصابه، فالرجال القساة لا تتوتر أعصابهم، هذه هي القاعدة. إنها محفورة في الصخر ولا تحتاج إلى مراجعة.

أخذ يتفحص الكنيسة بعينين هادئتين لكي يشغل ذهنه، كل سكان البلدة يعملون بهمّة وحماسة ليمنحوا إيما عرس أحلامها. الأزهار في كل مكان في الكنيسة ومن كل نوع، لأن إيما لم تستطع أن تستقر على نوع منها. لكن بائع الأزهار قام بمهمته على أحسن وجه، إذ نسق باقات الأزهار معاً بشكل رائع بدءاً من شرائط الساتان البيضاء التي تغطي الأعمدة وصفوف المقاعد انتهاءً بصفوف الشموع التي تتألق ببهاء. أومأ غراي راضياً.

بعد ساعات طويلة من الانتظار وصل آخر الضيوف وبدأ عزف



www.rewity.com

الموسيقى.

قدّر غراي ما عاناه صديقه الحميم منذ أسبوعين. مهما بلغت لهفته إلى الزواج من إيما إلا أن وقوفه وحده أمام المئات من الفضوليين لم يكن طريقته الفضلى في قضاء يوم السبت.

أخذ غراي يتأمل حفلة الزفاف وهي تبدأ في الكنيسة. شادو وراين جاءا أولاً وتبعهما تايس وشايد وقد بدوا أكثر رزانة مما ينبغي في مثل هذه المناسبة السعيدة. قطب غراي جبينه، فهم أيضاً لا يظنون أنه سينجح في تحقيق غرضه.

وعندما وقفا بجانبه، قال: «شكراً للمساعدة».

فسأله شايد: «وما هو الخطأ الذي اقترفناه؟».

- يبدو وكأنكما في جنازة!

فعبس شادو: «ألسنا كذلك؟».

فأجاب غراي: «لا، حسب مفهومي».

فسألاه معاً في وقت واحد: «وهل هناك أمل؟».

جاهد غراي ليبقي ملامحه جامدة: «قد أدهشكما فيما بعد».

واقتربت وصيفة الأزهار وكذلك الصبي حاملاً الخاتم. وبعكس ما جرى في عرس تايس تقدم الجميع دون مشاجرة أو نثر الأزهار على الضيوف.

سكتت موسيقى الأرغن لحظة لتدوّي بعدها كالرعد، فوقف الكل. كان هناك أناس كثيرون يفصلون بين غراي وإيما فلم يستطع أن يراها وهي تسير في الممر مع تي. أراد أن يأمرهم بالجلوس لكي يرى عروسه قادمه نحوه. لكنها ستكون قسوة منه رغم أنه كان على وشك المجازفة. وأخيراً، وصلت إلى مقدمة الكنيسة فرآها غراي لأول مرة وخطفت أنفاسه.

لم يرها قط بمثل هذا الجمال. كانت ترفع شعرها عند قمة رأسها



وقد تناثرت بين خصلاته حبات اللؤلؤ، بينما كان النقاب الشفاف يتدلى على ظهرها فوق ثوب الزفاف. كان الثوب مذهلاً بجماله، محكماً على جسمها ويكشف عن كتفيها فبدا مغرياً في نظر غراي. لاحظت هي اهتمامه، واستدارت قليلاً فرأى شريطة حمراء على شكل فراشة تتماوج بإغراء على وركيها، ما جعله يخنق ضحكة.

ترك تي ذراعها وضرب السجادة بعصاه: «أريدكم جميعاً أن تعرفوا أنني لست سعيداً».

قال ذلك بصوت هادر فسكتت الموسيقى. وابتدأت إيما تقول: «جدي...».

فقاطعها دون تردد: «لا تناديني جدك، يا فتاة. أنا جئت إلى العرس ولديّ شعور بأنني لن أحضر واحداً».

وحملق في غراي: «إنه ذنبك».

فأومأ غراي: «أنا أعرف».

نقل تي نظراته إلى حفيدته: «وماذا عنك، يا فتاة؟ إذا كنت مصرة على متابعة هذا الهراء، فأتوقع منك أن تكوني منصفة. كم تخميناً بالضبط تطلبين من هذا الفتى أن يعطيك؟».

أحدث السؤال ردة فعل فورية بين الحضور، ودار بينهم حديث هادىء أخذ ينتقل من الأمام إلى الخلف ثم إلى الأمام مرة أخرى، وبعد دقيقة، ارتفع صوت رئيس عمال المصنع: «لديه ثلاثة على الأقل. ما رأيك يا ايما؟ أليست هي العادة كما في الحكايات الخرافية؟».

رد تي بحدة: «تلك هي أمنيات، يا غبي. رغم أنه يتمنى الكثير الكثير حالياً».

كرر رئيس العمال بحزم: «ثلاثة تخمينات. إنه إجماع في الرأي».

تصاعدت همهمات الحضور. فقال تي: «لا بأس، فليكن ثلاثة. شخصياً كنت أود أن أعطي الفتى أكثر، دزينة مثلاً. ولكن إذا كنتم



www.rewity.com

تريدون ثلاثة فقط..».

نظر الكاهن إلى إيما بتردد: «كيف تريدين أن تكون الإجراءات؟ هل يخبرك غراي بما يريده أولاً، أم أبدأ أنا طقوس الزواج؟».

وهز رأسه بعدم رضى: «يجب أن أقول إن الأمر كله مخالف للقواعد. من المفروض أن يقرُر العروسان، قبل المجيء إلى الكنيسة ما إذا كانا سيتزوجان أم لا».

فقال تي: «طبعاً. ولهذا توجه سؤالك للعروسين، مانحاً إياهما الفرصة لتغيير رأيهما. أحياناً يقولون نعم فيسعدون بذلك جدهم، وأحياناً أخرى...».

أخذت إيما تعبث بشريطة الباقة في يدها مفكرة، فانحلت العقدة على الفور واختطفها غراي من يدها محاولاً إصلاحها. لم تبد العقدة كسابق أناقتها، ولكن لا يهم فالأناقة أو الجمال ليسا من اختصاصه.

ناولها الباقة. ولم يبد على إيما انها اهتمت لافتقاره إلى المهارة في التنسيق. أخذت منه الباقة بابتسامة دافئة: «شكراً».

ـ العفو.

لا بأس. لا فائدة من إطالة الوقت. آن الأوان للخلاص من الكابوس نهائياً. فسألها: «والآن، ما هو قرارك؟».

ـ أظن أن الشروط يجب أن تأتي أولاً.

ورفعت بصرها إليه مفعمة بالأمل. كان النظر إليها مؤلماً، ورفع حاجبيه.

ـ كنت خائفاً من أن تقولي ذلك. هل أنت واثقة من أنك لا تريدين أن تبسّطي الأمر؟

تنهدت إيما خائبة: «لم تجد بعد حلاً؟».

وجاء صوت برايانت الأرملة يعلو: «بسرعة، أخبرها أنك تحبها. تحب النساء سماع هذه الكلمة».



فأجابت إيما دون أن تلتفت وهي تحدق في غراي بحنان ومرارة معاً: «كنت أعلم دوماً أنه يحبني».

ـ وأنا أحبك أكثر مما يمكن أن تعبّر عنه الكلمات. لا تنسي هذا أبداً.

ارتجف فمها بخفة، منبهاً إلى انها لا تسيطر على أعصابها كما تبدو. لم يستطع أن يقاوم رغبته في أن يلمسها. وبرفق أعاد خصلة من شعرها إلى مكانها تحت النقاب... ماذا يفعل لكي يمحو الكرب الذي يعكر لون عينيها.

سألها: «هل يمكن أن يعتبر ذلك أحد تخميناتي؟».

ـ إنهم يحاولون أن يساعدوك.

عند ذلك، انتبه تي: «هذا صحيح، يا حلوتي. كل شخص هنا يحاول أن يساعد».

والتفت إلى الجموع رافعاً حاجبيه: «مساعدة فقط».

وسرعان ما فهم أهل البلدة الإشارة، وصاح أحدهم: «الأولاد. ربما حل اللغز هو الأولاد».

فتأوه تي، وقالت إيما: «إنه ليس الأولاد، وإن كنت لا أمانع في إنجاب بعض منهم».

نطقت بالجملة الأخيرة بكآبة.

شعر غراي بحاجة إلى المقاطعة مرة أخرى: «إذا كان لصوتي أي حساب، فأنا أحب أن يكون لدينا مجموعة. فالمجموعة توحي دوماً بالثقة والإطمئنان العائلي».

ومرة أخرى تجاهلوه.

أعلن بائع الأزهار: «المجوهرات. النساء يعشقن المجوهرات».

فقالت له زوجته: «ولماذا لم تشتر لي قط من ذلك؟».

تصاعد الضحك، وهز غراي رأسه فبدا عليه التسلية والإشمئزاز:



www.rewity.com

«أنا واثق من أن ذلك ليس شيئاً بإمكاني أن أشتريه».

ـ حل اللغز هو بيت، بيت حقيقي. مريح للغاية.

هز تي عصاه نحو الرجل: «فكّر بعقلك الممتوه. هل كان سيقف هنا بحيرة لو أن الحل سهل؟».

وأضاف شايد: «كما أن غراي يملك مجموعة من البيوت، وأيما ليست من النوع الذي يمكن شراؤه».

ـ ربما تريده أن يعود للسكن في البلدة. أراهن على أن العيش في سان فرانسيسكو لا يوافقها.

ـ ربما تريده أن يقول إنه آسف لأخذه شركة بالمر.

عاد رئيس عمال المصنع يقول: «ولماذا يأسف؟ لولا غراي لكنا جميعاً عاطلين عن العمل».

وألقى على تي نظرة اتهام: «أرجو ألا يجرحك ذلك».

فرد تي عليه بحدّة: «لقد جرحتني».

ـ حسناً لقد وضع مبلغاً ضخماً لينقذ الشركة... وربما كل ثروته.

قطبت إيما جبينها وسألت بصوت خافت: «هل هذا صحيح؟».

صدر عن غراي صوت انزعاج. لم يكن مفروضاً أن تعلم بذلك. وقال لها: «إذا كان الأمر صحيحاً، فهل يصلح ذلك جواباً عن شرطك؟».

ـ أنا جادة، يا غراي. هل وضعت كل ثروتك في شركة بالمر؟

ـ ستكون النتيجة جيدة، في النهاية. ألم يخبرك تي أن أحذيتنا ستُصنع يدوياً وستوافد علينا الجموع من سيليكون فالي وسان فرانسيسكو ليتعاقدوا معنا على كل شيء، بدءاً من الأحذية الرياضية إلى الرسمية منها وقد تلقينا عدداً مناسباً من الطلبات حتى الآن؟

ـ ولكن ماذا ستفعل حتى يستقيم الوضع؟

فهز كتفيه: «عملي الأساسي هو المحاسبة كما تعلمين. وأنا ماهر



في وضع الميزانيات».

ـ هل سيكون عليك أن تعمل محاسباً؟ أن تشتغل بوضع الميزانيات لأنك أنقذت شركة بالمر؟

فرفع حاجبه: «كنت أظن أنني سرقت الشركة من تي».

ـ أنا جادة يا غراي.

ـ وأنا كذلك.

ونظر إليها بحدّة: «هل ستتغيّر علاقتنا لو أنني أنقذت البلدة؟».

فتنهدت: «أظن لا. أليس كذلك؟».

فأجفل: «أنت على حق تماماً».

ثم تدارك بعد ذلك بلحظة: «آسف يا حضرة الكاهن».

هز الكاهن رأسه: «الآن لم أعد واثقاً من أهمية ذلك».

عاد غراي بانتباهه إلى إيما: «لقد أصبحت فجأة صاحب شهامة ونخوة، أليس كذلك؟».

فترددت: «ربما».

ـ إنه خطأ.

ضربت بباقة الزهور على ركبتيها بعنف فالتوت أعناق الأزهار المسكينة: «كنت أعلم أنه جواب خاطىء. كان يجب أن أقول لا. أليس كذلك؟».

ـ هذا صحيح. كان يجب أن ترفضي.

ـ ولماذا؟ لمَ لا يكون إنقاذك للشركة دليلاً على الشهامة؟

وأجاب: «لأن الطريقة الوحيدة التي سأتمكن فيها من انقاذ البلدة هي باستعمال الجرأة. ولكن بالنسبة إليك... هذا الأمر مرفوض».

وهز رأسه.

فقالت: «هناك سبب لذلك».

ـ حان الوقت لإنهاء ذلك، يا إيما. ماذا يقول المثل القديم؟ (النمر



www.rewity.com

لا يمكنه تغيير جلده»؟ آسف يا حبيبتي، لكنني سأحتفظ بجلدي.

حملقت فيه بفزع: «ماذا تعني؟».

ـ أنا أحبك.

وأزاح نقابها وأمسك بوجهها ثم عانقها بشوق. وحين افترقا قال: «لقد أحببتك منذ سنوات عديدة. وأنا أريد أن أتزوجك. أريد أن أمضي حياتي معك. وأنجب أطفالاً منك، وأكبر في السن معك. إما أن توافقي مثلي، وإما أن ترفضي. لن أرغمك على الزواج مني. وأنا لن أقسو عليك أبداً لأجل ذلك».

ـ هل تتراجع؟

وأمسكت بمعصمه رافضة أن تدعه يرحل: «لا يمكنك ذلك. لا تستسلم، ولا تنسحب من الزواج».

ابتسم، سامحاً لنفسه بقليل من التسلية قبل أن يعود إلى الجد: «كنت مصيبة، يا إيما أنا لا أدري ما هي رغبتك الخفية، وظننت أن بإمكاني أن أتكهن بها لأقترب من المشكلة ولكن اتضح أنني عاجز».

وسحب يده من يدها وواجه الجموع: «انتهى كل شيء، أيها الناس. لا مزيد من التكهنات، والمراهنات».

لم يعد هناك فائدة من الوقوف، فاستدار ثم اتجه نحو ممّر الكنيسة.

ـ غراي!

وكادت إيما تلقي بأزهارها على الأرض، إلا أنها غيّرت رأيها وألقت بها إلى تايس. ثم رفعت أذيال ثوبها وركضت خلف غراي فأدركته في منتصف الطريق إلى الباب. أمسكت بذيل سترته وجرته ليقف: «أنت لن تهرب».

استدار إليها فكاد يصطدم بها: «وما الفائدة؟ ألم تفهمي بعد؟ لا أدري ماذا تريدين».



وأشار إلى الضيوف: «وهم أيضاً لا يدرون».

ـ حسناً، أنا أخبرك.

أعلن تي، وهو يربت على جيوبه حتى وجد سيكاراً وضعه بين أسنانه دون أن يشعله: «وكنت ستعلم أيضاً لو أنك قبلت بأن أخبرك ولكن لا... اخترت أن تكون شريفاً بدلاً من الذاكي كما علمتك سابقاً».

استدارت إيما إليه: «وكيف تعلم أنت؟».

فابتسم تي بانتصار: «لقد سمعتك تخبرين به صديقتيك؟».

فتحت إيما فمها ذاهلة: «أنت سمعتني...».

ـ نعم، بالصدفة طبعاً. وقد بذلت جهدي لأخبر الفتى، لكنه لم يسمح لي.

حوّلت انتباهها إلى غراي: «هل هذا صحيح؟».

فأومأ غراي برأسه: «نعم، صحيح. ولأنني أنشيت سرّك مرة لم أرد تكرار ذلك مرة أخرى».

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني أنك كنت على صواب، فأنا عديم الرحمة. لكنني لست عديم الرحمة في العمل فقط بل في حياتي الشخصية أيضاً. في الواقع، أنا وغد قاس. اتصلت بتلك المجموعة المسماة لجنة كيوبيد المختصة بالسعي لتزويج الأشخاص المناسبين لبعضهم سراً. طلبت منهم السعي لتتزوجي مني مهما كلف الأمر. لقد حاولت الحصول عليك وكأنك اتفاقية عمل. لم أهتم للوسيلة ما دامت النتيجة هي أن أحصل عليك.

اغرورقت عيناها بالدموع: «غراي...».

فقاطعها: «لم أنته بعد. عندما عرض تي عليّ شرطك الثاني، كدت أقبل. فأنا لم أكن أريد أن أفقدك بسبب شرط سخيف».

ـ وما الذي منعك؟



www.rewity.com

انقبضت يدا غراي. كان يسمع دوماً أن الاعتراف بربح النفس ولكنه لم يكن مقتنعاً حتى الآن.

ـ لم أستطع أن أنتصر عن طريق الخداع ولا أن أكذب عليك بالقول انني استنتجت شرطك. كنت سأضطر إلى الكذب لأنك ستسألينني كيف عرفت ذلك.

ـ هذا صحيح.

وبدت عليها لمحة من التردد: «ألهذا امتنعت عن الحصول على المعلومات من تي؟ لم تستطع أن تحمل نفسك على الخداع؟».

ـ ليس تماماً.

ووضع يديه على كتفيها وجذبها إليه وكأنها مخلوقة له. ألا يمكنها أن ترى هذا؟

ـ لقد نظرت إلي مرة بشكل غريب.

ـ ماذا تعني؟

ـ في غرفة تي، عندما جئنا من سياتل لأول مرة. نظرت اليّ بشكل غريب وكأنني سأجرحك.

ـ بسبب أديليد.

فتصلب جسمه: «أديليد؟».

ـ لم تعلم بأنني عرفتها؟

وهزت رأسها باشمئزاز: «طبعاً عرفتها. فأنا لست معتوهة تماماً. حالما رأيتها تمثل دور الممرضة، اشتبهت في أنكما ضغطما على جدي».

فتمتم غراي: «وكأنه يرضخ لمن يضغط عليه».

ـ لهذا نظرت إليك. شعرت بخيبة الأمل لأنك تحاول أن تحتال علي.

ـ حسناً، قد يريحك أن تعلمي أن الأسبوعين الماضيين جعلاني



مجنوناً. وكانا كافيين لكي يمنعاني من قبول أي نصيحة من المقربين منك. وقد تجادلنا أنا وتي بهذا الشأن. عند ذلك فقط فهمت ما الذي كنت تحاولين أن تخبريني به طوال الوقت. كنت أحوّل قسوتي ضدك. ثم أدركت أن ذلك سيدمّر حبنا في النهاية لأنني كنت أحاول أن أدير حياتك، بدلاً من أن أديرها معك.

وأطلق زفرة عاصفة: «أنا آسف يا حبيبتي. أنا حقاً مختلف عنك».

ـ أنت مخطىء. نحن متكاملان.

ـ إنها طريقة أخرى في النظر إلى الوضع. قلت مرة إننا مختلفان، لماذا تغيّرت فجأة؟

فتدخل تي قائلاً: «سأخبرك لماذا. لأنك تكهنت بالشرط وحدك. من كان ليظن ذلك؟».

حملق غراي في تي: «ما الذي تتحدث عنه؟».

فالتصقت إيما به: «عن شرطي الثاني. أردتك أن تخبرني بأنك ذهبت إلى لجنة كيوبيد».

فسألها غير مصدق: «هل كنت تعلمين أنني ذهبت إليهم؟».

فزمجر شايد: «تباً لتايس. وعدتني بألاّ تخبريها».

فوضعت تايس يديها على وركيها: «لا تتحدث إليّ بتلك اللهجة، يا ريتشارد سميث. فمن حقها أن تناضل ضدكم وما كانت لتتمكن من ذلك إذا تدخلت لجنة كيوبيد. أدرك ذلك من خبرتي الشخصية».

قالت هذا بابتسامة عريضة.

فقال بضيق: «يا لذاكرتك، يا زوجتي العزيزة، باعتبارك أول من جاء إلينا طالباً تزويج إيما لغراي. أم أنك نسيت تلك التفاصيل الصغيرة؟».

فقالت بخجل: «لقد نسيت».

فقالت إيما باحتجاج: «كيف أمكنك ذلك؟ أنت صديقتي».



www.rewity.com

هزت تايس باقة الزهور في وجه إيما: «كنت أؤدي لك خدمة. ألم تطلبي مني أن أجد لك زوجاً إذا بلغت الثلاثين دون أن تتزوجي؟».

فتدخلت راين تقول: «حسناً، لا تؤدي لي هذه الخدمة، فأنا أتذكر تلك الإتفاقية. كنا جميعاً في... العشرين؟ أنا منسحبة منها وغير مهتمة بأي نوع من الالتزام سواء أكان زواجاً أم علاقة عاطفية...».

قال تي وقد بدا راضياً عن نفسه: «جاء دوري. عادة أنا لست رجلاً يقرُّ بذنوبه والواقع أنني أحب ارتكاب المعاصي أحياناً، ولكن، أنا مرغم على الاعتراف بأنني اتصلت بلجنة كيوبيد أيضاً وأن اديليد لم تكن حاضرة بناء على طلب غراي، بل بناء على طلبي أنا».

وتدخلت برايانت الأرملة: «آه، رباه. بما أن كل شخص هنا يعترف، عليّ أنا أن أفعل ذلك أيضاً. ذنوبي، في الواقع، أسوأ من الآخرين لأنني اتصلت بلجنة كيوبيد بالنيابة عن سكان البلدة. هناك أكثر من مئة شخص يرغبون في أن يزوجوكما».

بدا على إيما الذهول: «أربعة طلبات؟ واتصلوا بلجنة كيوبيد بالنيابة عني؟».

فقال غراي: «والآن، يا حبيبتي، لا تفقدي عقلك».

ـ عقلي؟

اغرورقت عيناها بالدموع وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة مرتعشة: «أظن أنه أجمل عمل قمتم به لأجلي».

فهز غراي رأسه: «ها هي تتوجه يميناً حين أريدها أن تتوجه يساراً».

فقال تي: «ما رأيكم في أن نقوم بالعمل الصواب؟ هل ستتمم هذا الزواج أم لا؟ تعلمون أنني لا أصغر في السن».

فسأل غراي إيما: «حسناً، هل تتزوجينني؟ دون شروط أو رغبات خفية؟».



ألقت بذراعيها حول عنقه: «طبعاً. سأتزوجك».

وارتفع الهتاف حوله.

انتظر غراي حتى هدأت الجلبة، فرفع وجهها إليه: «ولماذا؟».

تلقت السؤال بسهولة. لا شك أنه يريد أن يطمئن، هو أيضاً: «لأنني أحبك. أحبك كما أنت وليس كما أريدك أن تكون».

سكت دقيقة مفكراً: «أتحبينني بالرغم من قساوتي؟».

فابتسمت: «نعم. أنت صادق، لقد فكرت للتو بقلبك وعليّ فقط أن أحرص على تكرار الأمر».

ـ سأكون صادقاً، يا إيما، لست واثقاً تماماً من أنني كنت حقاً أفكر بقلبي عندما قدم تي إليّ عرضه.

لكز تي الكاهن بعصاه: «أرى أن تبدأ بعقد الزواج».

ـ هل تريد يا غرايسن ايرل شاو أن تتخذ هذه المرأة زوجة شرعية؟ هل تتعهد بأن تحبها وتحترمها وألا تعاملها بقسوة طوال حياتكما؟

أبقى غراي ذراعه حول عروسه وقال: «نعم».

استدار الكاهن إلى إيما راضياً: «وهل تريدين يا إيما ماري بالمر أن تتخذي هذا الرجل زوجاً شرعياً لك؟ هل تتعهدين بأن تحبيه وتحترميه وألا تفرضي مزيداً من الشروط؟».

ردت إيما بابتسامة عريضة: «نعم. سآخذ هذا الرجل».

مسح الكاهن حاجبيه: «الحمد لله. بموجب السلطة الممنوحة لي، أعلنكما زوجاً وزوجة. كما أخبرني رئيس البلدية بأنه سيكون في حفلة الإستقبال لكي يدفع لكما المراهنات».

فقالت إيما لزوجها بصوت خافت: «على حفلة الإستقبال أن تنتظر».

فرفع حاجبه: «ولماذا؟».

ـ لدينا أمور أهم علينا أن ننظر في شأنها.



www.rewity.com

ـ أهم من حفلة استقبال عرسنا؟

فأومأت: «أهم بكثير».

وأخذت تعبث بزر قميصه الثمين، فتحته ثم انتقلت يدها إلى الزر الذي يليه: «أفكر في مجموعة الأطفال تلك».

ـ تفكير صائب.

وحملها بين ذراعيه وسار بها في ممر الكنيسة.

ـ يا مايور هورنسبي يمكنك أن تستعمل حصتي من الرهانات لأن لديّ كل ما أريده في هذا المكان.

بدا المستقبل مشرقاً، مبشراً بالخير. قريباً ستزدهر شركة بالمر مرة أخرى. وسينتقلان إلى بلدتهما للعيش بين الأصدقاء والأسرة. وبعد سنوات قليلة سيبنيان، هو وإيما، تلك العائلة التي يريدانها، كما أن الطريق المؤدية إلى ناغت كريك ستستعمل بشكل منتظم، وسيحفل كوخ الشجرة بالأصوات الفتية السعيدة.

في النهاية، سيعيشون جميعاً سعداء وسيحرص هو على أن تبقى الأمور كذلك.

* * *



# الختام

سكب شادو العصير في كأسين وحملهما إلى مكتب أديليد: «تفضلي، يا سيدتي الرئيسة. لم أكن أظن أننا سننجح في هذه القضية».

أخذت أمه كأساً وأجابت: «كدنا نفشل. فقد كانت الأمور قريبة من ذلك».

فنظر إليها متأملاً: «هذا صحيح تماماً. ما رأيك إذن. هل تعلم غراي الدرس؟».

فقالت ضاحكة: «أنا واثقة من أن إيما ستذكّره به».

ـ لا أشك في ذلك للحظة.

وجلس على الكرسي أمامها ثم رفع قدمه على حافة مكتبها: «تبقى راين. لا يبدو لي أنها مهتمة».

ـ حسناً إنها ليست كذلك. ولهذا سنتعامل مع الأمر بمهارة ودقة. سنقوم بتجربة خفيفة لنرى ما سيحدث.

ـ أرجوك لتكن هذه التجربة الخفيفة أسهل من الأخيرتين.

ألقت عليه نظرة رثاء: «هيا يا شادو، بعد كل هذه السنوات من المفروض أن تكون أكثر حكمة ودراية».

ـ كنت خائفاً من أن تقولي هذا. أظن أن هناك شخصاً في ذهنك.

ـ نعم، تماماً.



www.rewity.com

ـ من هو هذه المرة؟ صناعي آخر، أم رجل قاس مثل غراي؟

ـ أظن أن هذا الزواج سيكون مفاجأة كبرى لراين.

ونظرت إلى ابنها بابتسامة غامضة: «أريد، في الواقع أن يكون مفاجأة مذهلة».

قطب شادو جبينه: «وماذا تعنين؟».

ـ آسفة، يا حبيبي.

ومالت نحوه تقرع كأسها بكأسه: «إنتظر فقط حتى أخبرك ولكنني أطمئنك إلى أن أملك لن يخيب».

* * *

www.rewity.com